أساطير مصرية

تأليف

د. عبدالمنعم أبوبكر

الكتاب: أساطير مصرية

الكاتب: د. عبدالمنعم أبو بكر

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أبو بكر، عبدالمنعم

أساطير مصرية / د. عبدالمنعم أبو بكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٢١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٠ – ٧٥ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٨٢٣٤ / ٢٠٢٠

أساطير مصرية





مقدمة

مصر – هذه السهول المنبسطة على جوانب النيل – كانت ولا تزال محط أنظار العالم تبهره بحضارتها وتعاليمها كما تدهشه بتوثبها وحيويتها.

لقد كانت دهشة الإغريق كبيرة عندما وجدوا في وادي النيل حضارة موغلة في القدم ولكنها رغم جمودها ما زالت تبعث في النفوس الرهبة والاحترام، فأضمر الإغريق الوقار لشعب مصر العريق في حضارته ونظروا إلى معابده نظرتنا الآن إلى محاريب العلم والمعرفة المنتشرة في أوروبا وأمريكا، فكم من عالم إغريقي حج إلى وادي النيل وهدفه الأول أن ينهل من مواردها العلمية وفي نفسه أمل يراوده في أن كهنة مصر قد يساعدونه في الكشف عن سر هذا العالم.

وبقى هذا الاحترام بل أخذ يزداد من قرن إلى قرن وأخذ ينتشر بعد أن تسرب بين طبقات الشعب المختلفة وأصبح كل الناس يحتفلون بآلهة مصر بعد أن اندمجت في آلهة الإغريق والرومان.

وعاش اعتقاد العالم اليوناني الروماني بأن مصر هي بلاد الحكمة والأسرار دهورا طويلة وليس العهد ببعيد عندما كان الناس يتحدثون عن الأهرام والتوابيت المصرية والمسلات على أنها أشياء سحرية غامضة.

وظل ما يعرفه العالم عن مصر القديمة قليلا ضئيلا حتى أوائل القرن

التاسع عشر أي عندما اتخذ نابليون في عام ١٧٩٨ أهبته لغزو مصر. فبدأت صفحة جديدة في تاريخ البلاد، إذ في الوقت الذي كانت فيه الجنود الفرنسية تحارب المماليك كانت هناك حملة أخرى علمية من الفرنسيين أيضا تجوب البلاد، مهمتها دراسة كل ما يتعلق بمصر. فبحثوا جغرافية البلاد وحيواناتها ونباتاتها وحرفها كما درسوا أخلاق الناس وعاداتهم وآثارهم ونقلوا النقوش القديمة التي كانت وقتئذ ظاهرة على معابد البلاد. وسواء أكان السبب الذي دعا نابليون إلى تزويد حملته هذه بطائفة كبيرة من العلماء للدرس والتدوين هو حبه فعلا للعلم أم كان يريد من وراء ذلك شهرة ومجدا في ميداني العلم والحرب، فإن هذا العمل سجل في التاريخ بين الأعمال الكبيرة التي قام بها هذا الرجل الفذ فقد تمكن من أن يحرر مصر القديمة من الظلام الذي ظل يكتنفها قرونا طويلة.

وقام علماء نابليون بالمهمة التي نيطت بهم بهمة ونشاط يستحقان كل إعجابنا. ويعتبر مؤلفهم العظيم " وصف مصر " (**Description de l'Egypte**) الذي حوى دراساتهم المتعددة لكل ما يتعلق بمصر بداية طيبة للأعمال العلمية التي تهدف إلى دراسة مصر القديمة.

غير هذا فقد وفق رجال نابليون إلى كشف هام هو الذي حقق لنا كل ما وصلنا إليه من حل رموز اللغة الهيروغليفية بسرعة لم تكن منتظرة. فقد حدث في أغسطس سنة ١٧٩٩ عندما كان بعض رجال الحملة يقومون بحفر خندق حول قلعة " سان جوليان " في رشيد بالقرب من المصب الغربي للنيل أن عثروا على حجر من البازلت كتب على وجهه

الأمامي نقش بثلاث لغات:–

١– العليا منها كتبت بالهيروغليفية

٢– الوسطى نقشت بالديموطيقية

٣– السفلى دونت باليونانية

ولما كان النص المكتوب باليونانية سهل القراءة – إذ أن اليونانية كانت لغة مفهومة مدروسة – فقد فهم العلماء منه أن هذا الحجر يتضمن قرارا للكهنة المصريين بتكريم بطليموس إبيفانوس (بطليموس الخامس ١٩٦ ق.م) على أن يسجل هذا التكريم باللغة المقدسة (الهيروغليفية) واللغة الشعبية (الديموطيقية) وباليونانية.

وكان هذا الكشف مثارا للتنافس بين علماء أوروبا فقصدوا مصر وقاموا بجهود جبارة لفهم رموز اللغة المصرية القديمة ومن أهم هؤلاء العلماء شمبليون الفرنسي ولبسيوس الألماني.

وبدأ الظلام الذي غلف هذه الحقبة من تاريخ مصر ينقشع وأخذ العالم يتطلع إلى مصر ويتتبع الجهود التي تبذل لفهم حضارتنا العريقة وعلم الناس والدهشة تملأ قلوبهم أن الشعب المصري كان صاحب مدنية وعلم وفن بز مدنيات وعلوم وفنون الشعوب القديمة جميعا.

ومنذ مستهل القرن العشرين أجريت عدة حفائر علمية منظمة في أماكن لا حصر لها من مصر وتهافت على مصر العلماء من الفرنسيين. والإنجليز والإيطاليين والألمان والبلجيكيين والنمساويين والأمريكيين

وقاموا بالحفر ونشروا نتائج أعمالهم، كما أخذ المصريون منذ عهد قريب يساهمون في هذه الدراسات. وقام البعض منهم بالتنقيب وتأليف الكتب، وسجلت العشرون سنة الأخيرة نصرا كبيرا لعلماء مصر في جهودهم العلمية كما سجلت لهم أيضا مقدرة في التأليف.

كلمة عامة عن المعتقدات المصرية

يقولون إن الشعور الغريزي بالخوف والفزع هو الذي دفع الإنسان الأول إلى احترام كل القوى العظمى التي تؤثر في حياته دون أن يتعرف كنهها. ومن هذا الشعور الغريزي أيضا نشأت الديانة.

إن الإنسان الأول الذي عاش على الصيد والقنص والذي سكن الكهوف واكتسى بأوراق الأشجار أو جلود الحيوان كان يتطلع إلى العالم المحيط به ويشعر ويحس بالقوى التي تسيطر على هذا العالم إلا أنه لم يستطع أن يميزها أو يصل إلى أصلها.

حقا لقد كوَن في مخيلته صورا لها، كما أخذ يعطي لكل منها اسما معينا بل لمس أن بين هذه القوى ما ينفعه فصادقها، ومنها ما يضره فعاداها. وأخذ يتصور الأشياء التي تدخل السرور إلى نفسه كما عرف ما يثيرها. ولا غرابة في ذلك فهو إنسان له صديقه كما أن له عدوه. وعرف أن الصديق من ينفع والعدو هو من يضر.

ومرت العصور الأولى على الإنسان الأول وتطورت أساليب حياته وتكونت الأسرة ومن ثم عرف الإنسان التكتل فظهرت القبيلة وتكونت الأمة. هذه الخطوات الحاسمة في تاريخ البشر استتبعت أيضا تغيرا في نظرته إلى تلك القوى الخفية وأخذت أهداف الإنسان المدنية تسمو شيئا فشيئا وتتركز حول التعرف على ما يحويه ذلك العالم البعيد عن حياته اليومية.

واختص الدين المصري بطابع ميزه عن غيره من الأديان استمده من بيئته الخاصة: أرض خصبة وسماء مشرقة ونيل فياض يأتي كل عام بالخيرات. ولكن مصر حوت قوى طبيعية أخرى غير النيل سيطرت على المصري وأجبرته على أن يفكر فيها ليعرف كنهها – هناك الشمس التي تظهر صباح كل يوم من وراء الجبال في الشرق فتجلب له الدفء والحياة. ومما لا يقبل الشك أن النيل والشمس كان لهما أثر قوي ظاهر في حياة المصري. فأول تفكير في تعيين الاتجاهات الأربعة اتخذه من النيل وعرف الجنوب قبل أن يعرف الشرق. فالجنوب هو الاتجاه الذي يأتي منه النيل بفيضانه الجبار فترتفع المياه وتغمر حقوله وتكسبها الخصب. وكذلك هو النيل الذي يسبب له أحيانا الدمار والخراب إذا ما ارتفع فوق جسوره فيغمر قراه ويهلك الحرث والنسل. ومن الغريب أن من بين الألفاظ التي يطلقها المصري على الجنوب لفظ يستعمل أيضا للدلالة على كلمة " الوجه ". أما الشمال فيستعمل له كلمة تدل أيضا على مؤخرة الرأس.

ولقد بهرت السماء المصري بنجومها وقمرها وأخذه العجب من أمر السحب التي تتكاثف فتحجب الشمس، وبعد لحظات يدوي الرعد ويسطع البرق وتهطل الأمطار وتتراءى له كما لو كانت هناك حرب شعواء قامت في السماء بين قوى لا يعرف من أمرها شيئا.

فهل نعتقد نحن أن كل هذا لم يكن كافيا ليجبر المصري على التفكير في أمر هذه المظاهر الغريبة وهذه القوى الخفية. لقد فكر المصري ولم يستطع إلا أن يجعل من كل هذه القوى آلهة مختلفة. بل

كانت لديه هي الآلهة الكبرى، لقد خافها ورهب جانبها وشعر بجبروتها وعظمتها وقوتها وسيطرت عليه. وإذا كان الحيوان يخاف المخلوقات الغريبة التي لا يعرفها فيهرب منها، فإن الإنسان البدائي كان يتعبد إلى كل ما خفي عليه أمره.

ولكن المصري وهو هذا المخلوق الضعيف الذي يحيا فوق الأرض، تساءل في حيرة عن علاقته بهذه الآلهة الكبرى؟ هل كانت تهتم بأمره وتسعى لمعونته إذا ما حلت به الأزمات؟ هل كانت هذه الآلهة تسرع إلى إغاثته إذا هاجمه عدو أو مرضت ماشيته؟ ولكنه عرف بغريزته ان هذا بعيد التحقيق.. فقد كانت آلهته تحيا في السماء....

إذن فقد وطد العزم على أن يجد آلهة أخرى قريبة منه تساعده وتكون سنده، فتشد من أزره وتخفف من ويلاته. وفي الواقع عاش المصري الأول بين مظاهر طبيعية كثيرة منها ما كان يثير دهشته ويملؤه إعجابا، ومنها ما كان يرعبه ويقض مضجعه. هناك الحيوانات المقدسة التي سكنت أرجاء نيله وملأت الفيافي التي تحيط بمزارعه. هناك التمساح وفرس النهر والأسد وابن آوى والذئب والثعبان وغيرها. كما كانت أيضا تلك الأشجار الضخمة العالية التي نبتت في حقوله وهو لا يعرف من زرعها ومتى نبتت واطمأن إلى كثير من الحيوانات التي ساعدته على حرث الأرض مثل الحمار والثور والتي عاش يأكل من لحمها ولبنها مثل البقرة والنعجة والخنزير وغير ذلك. كل هذه الأشياء عاش بينها وكانت دائما قريبة منه، فعبدها حتى يضمن سرعة المساعدة ولأنه يخاف قسوة الانتقام.

وهكذا تكونت تلك الآلهة العديدة التي يصعب علينا حصرها، تعددت بتعدد أسباب وجودها والمناطق التي عبدت فيها وتعلق الإنسان بهذه الآلهة الصغرى وتأثرت بها حياة الأسرة سواء في القرية والإقليم. حتى أصبح لكل أسرة ولكل قبيلة ولكل إقليم آلهته المتعددة حتى حان العصر الذي تكونت فيه مصر سياسيا فاندمجت الأسرة في الجماعة وتكونت المقاطعات، ثم اندمجت هذه المقاطعات وتكونت مصر من قسمين هما الوجه القبلي والوجه البحري. ثم اتحد الوجهان وأصبحت مصر دولة على رأسها ملك واحد.

هذه المراحل السياسية أثرت بطريق غير مباشر في المعتقدات الدينية في البلاد إذ جمعت هذا الخضم المتناقض من الآلهة في صعيد واحد وأضفت عليه الشكل النهائي الذي ينحصر في أقسام ثلاثة:-

أولا - الآلهة الكبرى وهي التي تمثل فيها المصري قوى الطبيعة مثل الشمس والقمر والسماء والأرض والهواء والرياح والمحيط وغير ذلك.

ثانيا - الآلهة المحلية وهي التي تعبد في القرى والمدن والأقاليم

ثالثا - آلهة الدولة التي ظهرت بظهور الملكية المتحدة في مصر. ولقد كانت في الأصل آلهة محلية صغيرة ثم كبر شأن الإقليم الذي عبدت فيه وتمكن حاكمه من أن يسيطر سياسيا على ما جاوره من أقاليم فكان يفرض إلهه على هذه الأقاليم. وإذا تم له النصر ووحد أقاليم مصر كلها وأصبح الملك، استتبع ذلك أن يكون إلهه هو إله جميع المصريين.

ويجدر هنا بالباحث أن يتعرض لبعض النقط التي تعتبر من أهم

الأسس لتفهم الديانة المصرية القديمة. لقد سبقت الإشارة إلى أن المصري اختار بعض الحيوانات لتقديسها وفي كثير من الأحوال اختار بعض الحيوانات المفزعة مثل التمساح والثعبان، كما اختار أحيانا بعض الحيوانات الأليفة مثل الكبش والثور والبقرة. وكثيرا ما أختار أنواعا أخرى شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كأبن آوي الذي يتسلل ليلا ويقتحم المقابر لسرقة جثث الموتى.

لقد اعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوي شيئا إلهيا في نفسها بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانا ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإله من صفات. ولكن عرفوا أيضا أن الإله لا يكون مجسدا في كل بقرة أو في كل تمساح، ورغم الاحترام الجم الذي أحاط به المصري تلك الحيوانات التي كان يعبدها فإنه لم يجد حرجا في أن يذبح البقرة أو يقتل التمساح. ولم ير في ذلك عملا إجراميا.



رسم تصويري لموكب ديني يتوسطه الإله (الثور) " أبيس " وقد أحاط به الكهنة يطلقون البخور. يتقدم الجميع الملك والملكة. كما تقوم بعض الكاهنات بالرقص الديني.

وهكذا كان المتعبد يحتفظ بنموذج واحد من ذلك الحيوان الذي يرمز إلى إله معين يقدم له فروض التقديس والعبادة بل كثيرا ما استبدلوا النموذج الحي من الحيوان بتمثال له. ولكن حدث بالنسبة إلى بعض الآلهة أن اضطر عبدتها إلى تمثيلها بجسم آدمي ورأس شكلت على هيئة رأس الحيوان، وكان ذلك متوقع الحدوث. ألم يقولوا عن الإله أن يحب ويكره، ويحمي ويعاقب، ويعطي ويأخذ، فمن الواجب إذن أن يظهر الإله لهؤلاء على هيئة آدمي، لأن هذه الصفات لا يمكن أن تكون لحيوان مثل التمساح أو الكبش أو الصقر. وأنه مما يثير دهشتنا حقا أن المصري استطاع على مر الأزمنة والدهور أن يحافظ على هذا المزج الغريب بين الإنسان والحيوان وأن الشعب المصري تقبل هذا المزج ولم ير فيه أي تناقض.

ولقد مكن موقع البلاد الجغرافي المحصن أهل مصر أن يعيشوا عيشة هادئة. ومن أجل ذلك بقيت ديانتهم خلوا من الطقوس المخيفة. فلم يكن بينها مكان لآلهة ظمأى إلى الدماء ولا طقوس تسرف في السرور أو الملذات. وكانت الطقوس الدينية تؤدي بشكل هادئ رزين

وعومل الإله معاملة الرجل القوي الذي يسعى الجميع إلى تأكيد مظاهر احترامه. فيقدمون له المأكل والمشرب والزهور والملابس والحلي ويشيدون له مسكنا يحرصون على نظافته ويملأ جوانبه عبيق البخور. وكان الإله في زعمهم يسر لكل هذا فيغرق الناس ببركاته ويغدق عليهم النعم.



كاهن مصري من عصر الدولة الحديثة

وهكذا كانت الديانة المصرية سهلة في أصولها بسيطة في طقوسها ولكن الكهنة لم يرضوا بهذه السهولة أو بتلك البساطة وهم تلك الفئة من الناس الذين أخذوا على عاتقهم خدمة هذه الآلهة التي كانت في الأصل حيوانات أو نباتات أو بعض مظاهر الطبيعة يتحتم لبقائها العناية بها، ولقد تمتع هؤلاء الكهنة بمركز سام بين أوساط الشعب در عليهم الخيرات وجعلهم يعيشون عيشة رخاء حرصوا على الإبقاء عليها بشتى الطرق وأقربها إنهم نسجوا الأساطير المختلفة عن الهتهم وطبيعتها وقوتها وتأثيرها على بني الإنسان وجعلوا من أنفسهم الوسطاء الوحيدين بين هذه الآلهة وبين الشعب.

ويظهر أن تكوين الأساطير العامة عن الآلهة سار جنبا إلى جنب مع

التطور الديني في مصر، إذ أنه في تلك العصور حين كانت كل منطقة تعبد إلهها الخاص كان من الصعب الجمع بين صفات إلهين في منطقتين مختلفتين بل كان اتباع كل إله أو قل كهنة كل إله لا يتحدثون أو يشيدون إلا بذكر أعاجيب وأفعال إلههم وحده. ولكن عندما اندمجت العبادات المحلية في ديانة شعبية عامة اتحدت قصص الآلهة لتكون الأساطير العامة التي أصبحت – على الأقل في أهم أجزائها – ملكا مشاعا للشعب وحده.

أسطورة " رع " واسمه المجهول الذي يدل على قوته

اعتقد المصري القديم بوجود علاقة خفية بين الإنسان واسمه واعتقد أيضا أن اسم الشخص يكون الجزء الحي منه بل إن هذا الاسم هو العنصر الذي يقوم شخصيته وقوته. ومن أجل ذلك اعتاد المصري أن يطلق اسمين على الشخص. " الاسم الأكبر " و " الاسم الأصغر ". أو الاسم الكبير والاسم الجميل.

وكان الاسم الثاني هذا، هو الذي يشاع بين الناس بينما اعتاد المصري أن يخفي اسمه الكبير. ومن هنا اعتقد المصري أنه لكي يؤثر في رجل مات ما عليه إلا أن يمحو اسمه من مقبرته. وكان هذا العمل كافيا لقتل ذلك الإنسان قتلا أبديا. فهو يسلبه بهذا العمل ذلك العنصر القوي الذي تقوم عليه حياته الأبدية.

ومن الغريب أن هذا الاعتقاد لم يسد بين المصريين فقط. فهناك شعوب بدائية اعتقدت أن الاسم هو بمثابة الروح ومنها من يعتقد أن الاسم هو الجزء الحي من جسم الإنسان وعليهم أن يخفوه للإبقاء على حياته وإلا سوف يستعمله الساحر للقضاء عليه.

ومن الغريب أيضا أن المصري اعتقد أن الإله كأي شخص يجب عليه أن يخفي اسمه الكبير وإلا أصابه الفناء.

والأسطورة التالية تؤكد هذا الرأي فهي تحدثنا عن الإله الأكبر " رع

" وعن أسمائه الكثيرة وأن اسما واحدا من بينها أحاطه الإله بسياج من الكتمان لأنه يعتبره ينبوع القوة والسلطة والجاه.

أرادت الآلهة " ايزيس " ان تعرف هذا الاسم لتزيد من لسطتها وقوتها بين الآلهة. فدبرت المؤامرة ونجحت فيها.

وكتب النص الذي سوف نتخذه مصدرا لقصتنا على بردية محفوظة في متحف تورين. ويؤرخها العلماء بعصر الأسرة التاسعة عشر. أي حوالي سنة ١٢٥٠ ق. م.

وها هو نص الأسطورة:-

" أسطورة الإله الأعظم الذي خلق نفسه من نفسه، والذي خلق السماء والأرض، والماء، ونسيم الحياة، والنار، والآلهة، والإنسان والحيوان، والزواحف، والطيور، والأسماك. ملك الآلهة والبشر الذي لا تقاس حياته بالسنين والذي لا يعلم اسمه الحقيقي هذا الإله أو ذاك "

" والآن كانت " إيزيس " تلك المرأة الماهرة لها قلب يفوق في شجاعته شجاعة مليون قلب من قلوب الرجال. وكانت مهارتها تفوق مهارة مليون إله. ولم يكن هناك شئ في السماء أو على الأرض لا تعرفه. فهي ك " رع " الذي صنع كل ما على الأرض. "

" ودبرت هذه الإلهة أمرا لتحققه لكي تعرف اسم الإله الأعظم. "

" وكان الإله " رع " قد اعتاد أن يدخل كل يوم إلى قاربه على رأس بحارته لكي يبدأ رحلته اليومية بين الشرق والغرب. "

" وكانت قد تقدمت به السنون، وضعف تحكمه في لعابه الذي كثيرا ما كان يسيل من شدقيه ويتساقط على الأرض. "

" فتناولت " إيزيس " بعضا منه وعجنته بتراب الأرض وشكلت منه ثعبانا مقدسا ووضعته في طريق " رع " اليومي الذي كان يسلكه حسب إرادته بين شطري الوادي. "

" وفي يوم من الأيام خرج الإله المقدس من قصره تحف به الآلهة الأخرى لكي يبدأ رحلته اليومية. فدبت الحياة في هذا الثعبان ولدغه. فصرخ الإله صراخا مدويا من شدة الألم وتجاوبت السموات صراخه وصاح أفراد التاسوع متسائلين:

" ما هذا... ما هذا...؟ "

" ولكن " رع " لم يستطع لفرط ألمه وكثرة صياحه أن يجيب على تساؤلهم. وكانت شفتاه ترتعشان. وارتجفت أعضاء جسمه، إذ تمكن السم من كل جزء منها. وعندما أخذ الإله يتمالك نفسه صاح في أتباعه:-

" أدركوني... أغيثوني...

" أنتم معشر الآلهة يا من خلقتكم وأخرجتكم من جسمي...

" اقتربوا مني لأحدثكم بما حدث لي...

" لقد وخزني واخز لا يعرفه قلبي ولم تره عيناي. ولم تصنعه

" يداي ولا أستطيع التعرف عليه من بين مخلوفاتي. إن إيلامه

" شديد لم أشعر بألم مثله. وليس هناك أشد إيلاما منه...

" إني شريف ابن شريف. أتيت إلى الحياة إلها...

" إني عظيم ابن عظيم. اختار أبي اسما لي...

" لقد تعددت أسمائي واختلفت أشكالي

" وقد أودعت صورتي آلهة مختلفة...

" واختار أمي وأبي اسما لي...

" وأخفي هذا الاسم في جسدي قبل ولادتي حتى لا تستطيع

" قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به علي...

" دعوا أولاد الآلهة يحضرون إلي...

" أولئك الذين عرفوا بالحديث الطيب وعرفوا السحر.

" ووصلت حكمتهم عنان السماء. "

فأتى هؤلاء الأولاد. ولكن " إيزيس " حضرت معهم بدهائها وفي حديثها نسيم الحياة كما لا يخلو كلامها من الألم...

فقالت:-

" ماذا حدث... ماذا حدث... يا أبي المقدس.. ماذا..؟

" هل وخزك ثعبان فحل بك الهزال؟

" أو تجاسر أحد أبنائك ورفع رأسه أمامك؟

" فإني مستعدة أن أحطمه بسحري النفاذ وأجعله ينهزم

" عند أول نظرة من شعاعك... "

ففتح الإله المقدس فمه وقص على " إيزيس " قصة الثعبان ثم زاد على ذلك أنه يكاد ينوء بما تحمله من الألم ووصف نفسه قائلا:-

" إني أشعر ببرودة أشد من برودة الماء.

" إني أشعر بحرارة أشد من حرارة النار.

" ويغرق جسمي في العرق بينما اهتز من شدة البرد.

" هناك غشاوة على عيني ولا أستطيع الرؤية... "

فقالت له " إيزيس ":-

" أخبرني باسمك أيها الأب المقدس لأن الإنسان لا يستطيع

" أن يحيا دون أن يذكره في تعويذة السحر. "

فقال " رع ":-

" أنا ذلك الذي خلق السماء والأرض. ونظم الجبال في

" سلاسل ممتدة.

" وخلق ما يعيش فوقها...

" أنا الذي صنع الماء...

" وخلق الثور للبقرة...

" وجعل لذة الجماع وسيلة للنسل....

" أنا الذي خلق السموات ووضع أسرار الأفقين حتى

" تتسع لأرواح الآلهة التي تحيا فيها...

" أنا الذي فتح عينيه حتى يكون النور....

" وأنا الذي أغلق عينيه حتى يكون الظلام...

" أنا الذي جعلت النيل يجري من الجنوب إلى الشمال...

" ولكن أنا الذي جهل الآلهة اسمه الحقيقي....

" أنا الذي حددت الساعات حتى تكون الأيام...

" أنا " خبري " في الصباح....

" و " رع " في الزوال.

" و " آتوم " في المساء.

" ولكن الألم لا يزال على أشده. "

فقالت " إيزيس " لـ " رع ":-

" إن اسمك الحقيقي لم تذكره بين الأسماء التي قلتها...

" إذا أخبرتني به خرج السم من جسدك...

" أعلم أن الإنسان لا يحيا إلا إذا نطق باسمه... "

ولكن آلام السم ما زالت تحرق جسده، فكانت أقوى من لهيب النار.

فقال جلالة " رع ":-

" يا ابنتي " إيزيس "... قربي أذنيك مني حتى يخرج

" اسمي من جسدي فيدخل جسدك... "

وهكذا تمكنت " إيزيس " من معرفة اسم " رع " ومن ثم قالت:-

" اخرج أيها السم...

" اخرج من جسد " رع "...

" اخرج من جسد " رع " المحترق لأني أقول التعويذة...

" إني أنا التي آمر...

" إني أنا التي أبعث بالرسالة....

" اخرج على الأرض أيها السم القوي...

" ولتعلم أن الإله الكبير قد أسر في أذني باسمه الكبير... "

فعاش " رع " ومات السم من قول " إيزيس " الكبيرة. سيدة الآلهة التي تعرف " رع " باسمه الحقيقي.

أسطورة الصراع بين " حوريس " و " ست "

أن هذه الأسطورة تمثل القضاء واحكامه وتعطي فكرة عن كل الخطوات التي تستلزمها قضية ما وتبين أطوارها المختلفة في ساحة القضاء.

وطرفا النزاع هنا هما " حوريس " و " ست " وقد رغب مجمع الآلهة في أن يفصل بينهما لكي يضع حدا للنزاع الطويل المتشعب بينهما.

ولو أن موضوع هذه الأسطورة يتعلق بشخصيات اعتبرها المصري القديم آلهة له إلا أن الأسلوب الشيق الذي دبجت به الاسطورة يجعل القارئ يحس أنها تعطي صورة حية لما كان يحدث بين الناس وخاصة لأن هذا الأسلوب قد صاغه مؤلف الاسطورة بالفاظ تستعمل في الحياة اليومية ولا نجد نظرا لها في لغة الأدب أو لغة الدين.

وليس من شك في أن هذه الأسطورة كانت تلقى على الناس في مجتمعاتهم الليلية وقد تزاحموا في ميدان فسيح وسط قريتهم ليستمعوا إلى هذه القصة كما نستمع نحن الآن إلى قصة أبي زيد الهلالي أو ما يشابهها.

ويرى بعض العلماء في عناصر هذه القصة شبها يدفعهم إلى مقارنتها بما جاء في شعر هومير والسبب في هذه المقارنة هو أن قصتنا

هذه تتحدث عن الآلهة كما لو كانوا أفرادا عاديين بأحاسيسهم البشرية ونزعاتهم المغرضة وتصرفاتهم البغيضة إلى درجة أن بعض ما يسئ الناس كان يجلب إلى قلوبهم الفرح ويجعلهم يهتفون متصايحين إعجابا بما حدث.

هذه الأسطورة وردت مكتوبة بالخط الهيراطيقي على بردية وجدت بين أنقاض طيبة القديمة واشتراها ثري سميت باسمه وأصبحت تعرف الآن باسم (بردية شستر بيتي).

وتقول هذه الأسطورة:-

" وتقدم " حوريس " الطفل المقدس إلى سيد العالم " آتوم " " يطالب بعرش أبيه " أوزيريس ". "

فعقد العزم على تقديم الاثنين " حوريس " و " ست " للمحاكمة وقال " شو " بن " رع " لآتوم الأمير القوي في هليوبوليس:-

" الحق مع سيدي. فليعطي حوريس هذه الوظيفة. "

ثم قال " تحوت " موجها حديثه إلى التاسوع:-

" هذا هو الحق مليون مرة. "

وهنا تصاعد صوت " ايزيس " فرحة وكانت السعادة تطفو على وجهها ووقفت أمام سيد الجميع وقالت:-

" يا ريح الشمال اذهبي إلى الغرب واحملي معك هذا النبأ " السعيد لتبليغه لأوزيريس. له الحياة والسعادة والصحة. "

وهنا تحدث سيد الجميع وقال:-

" ما هذا الذي تقولونه. وماذا حدا بكم أن تتخذوا هذا " القرار دون موافقتي. "

وقال أحد الآلهة:-

" إن اسم حوريس للعرش قد وقع الاختيار عليه وثبت " التاج الأبيض على جبينه. "

فسكت سيد الجميع وطال سكوته لأنه غضب على التاسوع



" نوت " إلهة السماء

وتقدم " ست " بن " نوت " إلهة السماء وقال:-

" دعوه بخرج معي وسوف أدلل لكم على ضعفه وسوف أريكم وأجعل من التاسوع شاهدا عليه، كيف أستطيع التغلب عليه. إذ أني الوحيد الذي يعلم تماما كيف يتخلص منه. "

وتقدم " تحوت " وقال:-

" ما هذا. ألسنا بصدد التعرف على المجرم. وهل معنى هذا أن

وظيفة " أوزيريس " تعطي لـ " ست " بينما يقف ابنه هنا في ساحة القضاء. "

وزاد غضب " رع حور أختي " واشتد هياجه لأنه في قرارة نفسه كان يرغب في إسناد هذه الوظيفة لـ " ست " صاحب القوة العظيمة ابن " نوت ".

وهنا صاح " أونوريس " أحد الآلهة وتساءل متعجبا ماذا نحن صانعون الآن؟

واختلط الحابل بالنابل في ساحة القضاء واقترح البعض أن يسأل في ذلك بعض الآلهة لكي تعطي رأيها فيمن يستحق الوظيفة من بين الاثنين.

ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل وظهر الاقتراح بسؤال الإلهة " نايت " فهي جديرة باتخاذ القرار الناجز.

وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب " تحوت " خطابا وهو يقف في حضرة سيد الجمع وقالوا له:-

" اكتب خطابا إلى " نايت " العظيمة أم الإله.

اكتبه باسم سيد الجميع. النور الذي يسكن هليوبوليس "

فأومأ " تحوت " برأسه وقال:-

" حسنا سأفعل ما تأمرون به

نعم سأفعل ! سأفعل !. "

وجلس على الأرض وكتب الخطاب كما يأتي:-

" ملك مصر العليا والسفلى " رع آتوم " محبوب " تحوت " سيد الأرضين، الساكن في هليوبوليس. يقول ما يأتي:-

" ماذا نحن فاعلون بأمر هذين الرجلين اللذين وقفا في ساحة القضاء مدة ثمانين عاما ولم يستطع أحد أن يفصل في أمرهما. نرجو الكتابة إلينا بما نحن فاعلون. "

وأرسلت " نايت " الإلهة العظيمة أم الإله خطابا إلى التاسوع تقول:-

" اعطوا وظيفة " أوزيريس " لابنه " حوريس " وإياكم أن ترتكبوا هذا السخف الذي ليس في موضعه وإلا غضبت وسقطت السماء على الأرض. وقولوا لسيد الجميع، النور الساكن في هليوبوليس. أزد من ممتلكات " ست " بإعطائه ابنتيك " عنات " و " اشترت ". وضع " حوريس " في " مكان أبيه " أوزيريس ". "

ووصل هذا الخطاب إلى التاسوع عندما كان يجلس أعضاؤه في الصالة الكبرى وتسلم " تحوت " الخطاب وبدأ قراءته أمام سيد الجميع وأعضاء التاسوع الذين هتفوا في صوت واحد:-

" إن الإلهة على حق. "

فازداد حنق سيد الجميع على " حوريس " وقال له:-

" إن جسمك لضعيف وهذه الوظيفة كبيرة عليك. ماذا أنت صانع بها. أنت أيها الطفل الذي لازالت رائحة فمه كريهة "

فغضب أعضاء التاسوع لهذا الحديث ووقف الإله " بابا " وقال لسيد الجميع:-

" ماذا تقول أنت يا من هجره عباده. "

واستاء سيد الجميع من تطاول هذا الإله عليه وامتلأ قلبه حزنا وخرج أعضاء التاسوع وهم يصرخون في وجه " بابا " قائلين له:-

" اخرج من هنا فجرمك كبير ولا مثيل له "

وانصرفوا إلى مخيمهم.

أما سيد الجميع فقد أمضى يوما بطوله مستلقيا على ظهره يخيم عليه الحزن وقد امتلأ قلبه الغضب ولم يرض أن يقترب منه أحد.

وبعد أن مرت السنون والأعوام أتت " حاتحور " سيدة شجرة الجميزة لتزور أباها " سيد الجميع " ووقفت أمامه مظهرة له ما خفي من أعضاء جسمها وهنا انفجر الإله العظيم ضاحكا وصحا من رقدته وجلس مع التاسوع وقال لحوريس وست:-

" قصوا علي قصتكم "

واختلفت الأصوات وتزايد الصراخ وخاصة عندما تدخلت " إيزيس " أم " حوريس " لتدافع عن ابنها.

واشتد حنق " ست " وأقسم في ثورة غضبه أنه سيقتل واحدا من الآلهة كل يوم. ورفض رفضا باتا أن يشترك في هذه القضية ما دامت " إيزيس " حاضرة.

وأصرت الآلهة عندئذ أن تنسحب إلى مكان بعيد اختارته في (الجزيرة المتوسطة). وأمرت صاحب القارب ألا ينقل إلى الجزيرة أية امرأة تشبه " إيزيس ".

إلا أن " إيزيس " اخفت معالمها وتشبهت بشكل آخر ورشت صاحب القارب وطلبت إليه أن ينقلها إلى الجزيرة المتوسطة.

وأغرت " إيزيس " – وقد ظهرت كفتاة جذابة – " ست " واستدرجته بعيدا عن مجلس التاسوع تارة تقص عليه قصصا لطيفة وتارة تداعبه مداعبة مغرية. ثم حدثته عن نفسها قائلة:

" إن زوجها كان راعيا للماشية فأتى رجل وقتله وسرق " ماشيته وترك ابنها الوحيد دون عائل فغضب " ست " وقال: " الويل للغاصب !. "

وترامى صراخه إلى التاسوع بينما انقلبت " إيزيس " إلى طائر ارتفع إلى السماء وهو يقول:–

" لقد حكمت على نفسك بنفسك !

" لقد حكمت على نفسك بنفسك ! "

وصرخ أعضاء التاسوع قائلين:–

" ما هذا يا " ست " لقد أتعبتنا بقضيتك.

" وأنت تقر الآن بالحق.

" فلتعطي وظيفة " أوزيريس " إلى ابنه " حوريس ".

إلا أن " ست " لم ينهزم. وطلب إلى سيد الجميع أن يدخل في معركة جسدية مع " حوريس " على أن تعطى الوظيفة للغالب.

وهلل التاسوع لهذه الفكرة وسرعان ما انقلب الخصمان إلى فرسي نهر وصمما على أن يبقيا تحت الماء مدة ثلاثة أشهر كاملة على أن تعطى الوظيفة للغالب.

ولكن " إيزيس " أفسدت المراهنة بتدخلها إذ أنها أسقطت في الماء (خطافا) لكي تشل حركة " ست ".

فاستعطف هذا الأخير أخته " إيزيس " وطلب إليها بحنان أن تبعد عنه هذا الخطاف وسرعان ما رق قلبها.

فغضب " حوريس " على أمه وأطاح برأسها.

فانزعج أعضاء التاسوع لهذه الفعلة الشنيعة وسمحوا لـ " ست " أن يعاقب " حوريس باقتلاع عينيه ودفنهما في الأرض حتى يضيئوها بهما.

وهنا أسرعت " حاتحور " ووضعت في مقلتيه لبن غزال وبذلك ارتد الضوء إليهما.

وطلب " رع " إلى الخصمين أن يوقفا عراكهما.

فصرخ " ست " مقسما:-

" سوف لا تعطى وظيفة " أوزيريس " إلى " حوريس " إلا بعد أن يتم تغلب أحدنا على الآخر. واقترح أن يقوم سباق بينهما في سفينتين من الحجر على أن يتسلم الغالب وظيفة " أوزيريس ". "

فأعد " حوريس " لنفسه قاربا من الخشب طلاه من الخارج بطلاء من الجص ليبدو للناظر أنه صنع من الحجر.

أما " ست " فقد بنى لنفسه قاربا من الحجر الأصم. وما كاد يضعه فوق الماء حتى غرق في اليم.

وأقلع " حوريس " بسفينته نحو الشمال متجها إلى مقر الإلهة " نايت ". وعندما وصل إليها أبلغها كل ما حدث كما عرض على مسامعها الأغلاط التي ارتكبها.

أما " ست " فقد اتخذ لنفسه شكل فرس النهر وأراد مهاجمة قارب " حوريس " الذي سارع باستعمال (خطافا) ليلقيه على " ست ". إلا أن أعضاء التاسوع صرخوا قائلين:

" لا ترم " ست " بهذا الخطاف ".

وفي نهاية الأمر اقترح الإله " تحوت " أن يكتب الآلهة خطابا إلى الإله " اوزيريس " ليدلي برأيه في هذه المشكلة.

ولا غرابة إذا انحاز " أوزيريس " إلى جانب ابنه " حوريس " وأرسل الخطاب الآتي إلى التاسوع:-

" لا أدري سببا لسياسة الخداع التي تتخذونها نحو ابني حوريس

وأنتم تعلمون أنكم تستمدون قوتكم مني كما تعرفون أنني صانع الشعير والقمح الذي يحفظ عليكم حياتكم كما أمدكم بقطعان الماشية التي تتغذون بها وتدرون تماما أنه لا إله هناك استطاع أن يعمل لكم ما أعمله.

ولكن هذا الخطاب لم يرض " سيد الجميع " وغضب منه وسارع إلى الرد عليه بما يأتي:-

" فلنفرض أنك لم تخلق. ولنفرض أنك لم تولد. إلا أني " أؤكد لك أن الشعير والقمح كانا سيوجدان وتتغذى بهما الآلهة "

وعندما وصل هذا الخطاب إلى " أوزيريس " وبعد أن قرئ عليه سارع بالرد مهددا الآلهة أن يرسل إليهم بعض المردة من أتباعه واتهم " رع " بأنه يجمع حوله فئة من الآلهة لا هم لهم إلا الإعلاء من شأنه والتزلف إليه بينما يهملون شئون الناس ومصالحهم. ثم أردف ذلك بقوله:-

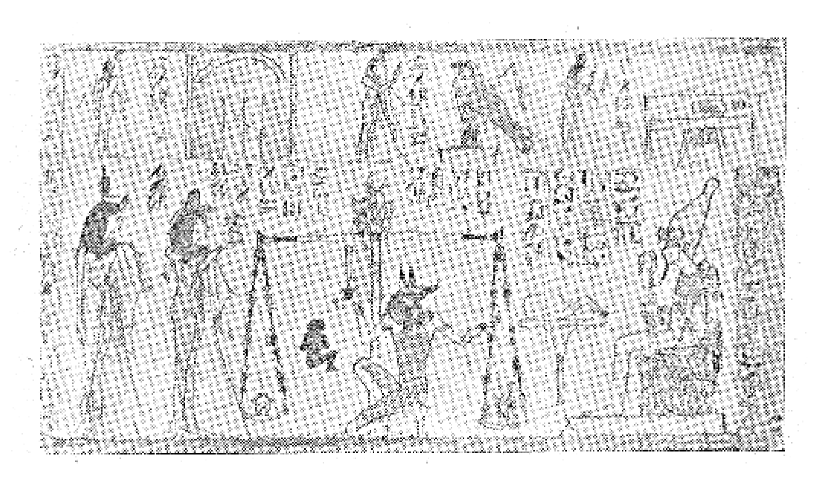
" هذا جميل ما تصنعونه الآن. وأنت يا صانع التاسوع أين العدالة؟

إذا بحثت عنها فإنك ستجدها قد غرقت وذهبت معالمها.

أحكم بالعدل.

أما عن الأرض التي أعيش فيها فهي ملأى برسل ذوي وجوه متوحشة. وهم لا يخشون أي إله أو آلهة.

إن في استطاعتي أن أرسلهم إليكم ليقضوا على أي



" أوزيريس " يحاكم الموتى في دولته في العالم السفلي.

منكم فيجلبوه إلي هنا ليعيش معي (إشارة إلى موته) إذ لا معنى مطلقا أن أعيش هنا في الغرب بينما تمرحون أنتم في عالمكم وإني أتساءل من منكم يفوقني قوة؟. "

" وويم الحق إنكم لا تجيدون غير نشر الخداع بين الناس

واعلموا أن " بتاج " العظيم عندما خلق النجوم في السماء قال لها:-

" ستذهبين كل ليلة وستحيين في الغرب حيث يحكم " أوزيريس" وسوف يذهب إلى الغرب أيضا كل إله وكل إنسان ليحيا هناك مع "أوزيريس ".

هذا ما قاله في رده على سيد الأرضين.

وعندما وصل هذا الخطاب إلى " تحوت " وقرأه على أفراد التاسوع

وافقوا على ما جاء به بالإجماع. إلا أن " ست " أراد أن يخرج بمحاولة جديدة.

ولكن " آتوم " أمر " إيزيس " أن تحضر " ست " مكبلابا بالقيود

ونفذت " إيزيس " ذلك بنفس راضية.

ووجه " آتوم " الحديث الآتي إلى " ست ":-

" لماذا لا تريد أن تأخذ العدالة مجراها؟

ولماذا تعارض في إعطاء " حوريس " وظيفة أبيه؟ "

وهنا أجاب " ست ":-

" سيدي ومولاي. دع " حوريس بن " إيزيس " يأتي ليتسلم " وظيفة أبيه "

وبالفعل حضر " حوريس " بن " إيزيس " ولبس التاج الأبيض ووضع في مكان أبيه " أوزيريس ".

ثم خوطب بما يأتي:-

" أهلا بالملك الطيب المولى على مصر.

فليكن من نصيبك الحياة والسعادة والصحة. "

أما سيد الجميع فقال:-

" دعوا " ست " بن " نوت " يأتي إلي ليحيا معي.

سأجعل منه ابنا لي.

سوف يهابه كل الناس. "

أما " رع " فقد قال عندما بلغه الخبر:-

" فلتسعدوا به.

خروا إلى الأرض خروا إلى الأرض أمام " حوريس " بن " إيزيس ". "

وهكذا انتهت هذه القضية بالسعادة ترفرف على " حوريس " في طيبة موطن الحق.



" حوريس " و " ست " وهما يتوجان فرعون مصر، ويرمز بهما إلى الإلهين المتعاركين بعد أن حسم النزاع بينهما.

أسطورة القمر وخسوفه

إن من أهم الشخصيات التي تعلق بها المصريون في معتقداتهم شخصية " أوزيريس". وكما نعلم جميعا حاك حوله الكهنة أساطير مختلفة لا نهاية لها.

وكان هذا الإله في العصور الأولى بمثابة الملك الذي غدر به وقتل لكي يخلو العرش لقاتله، ثم أصبح بعد أن نجحت زوجته في إعادة الحياة إلى جسمه ملكا على الدنيا الثانية، يحكم فيها كما حكم في الدنيا الأولى.

وتصور المصري الدنيا الثانية صورة طبق الأصل للدنيا الأولى. ففيها نيل يجري ويفيض على شاطئيه فيغمر الأراضي الزراعية ويعمل ساكنوها نفس الأعمال التي قاموا بها أثناء حياتهم الأولى.

وهكذا كان " أوزيريس " ملك الدنيا الثانية يقوم بنفس المهمة التي اضطلع بها الإله " رع " بين الأحياء. ف " رع " ينير الدنيا الأولى ويعطي الحياة لساكنيها، ويهب القوة والصحة لكل من يدب عليها، بينما " أوزيريس " يقوم بنفس المهمة في الدنيا الثانية، دنيا الظلام.

وفي الأسطورة التالية نرى بوضوح أحد الموضوعات التي كانت تملأ فراغا كبيرا في تفكير المصري وهي خلق العالم وكيف تم.

وهذه الأسطورة تتحدث عن أصل " أوزيريس " وأسرته كما يلي:—

" أنا " آتوم " عندما كنت وحيدا في " نون ".

" أنا " رع " في بدء ظهوره عندما أخذ يحكم بين أولئك

" الذين خلقهم.

" أنا الإله الأعظم الذي خلق نفسه من نفسه.

" من أنا؟

" أنا الإله الأعظم الذي خلق نفسه من نفسه في الماء.

" أنا " نون " أبو الآلهة.

" من أنا؟

" أنا " آتوم " في قرص الشمس.

" أنا ذلك الإله بين الآلهة الذي لا يخالف له أمر.

" أنا الأمس ولكنني أعرف ما يأتي به الغد.

" من أنا؟

" أنا الأمس، أنا " أوزيريس ".

" أنا الغد، أنا " رع " في ذلك اليوم الذي فيه فتك.

" من أنا؟

" أنا الأمس، أنا " أوزيريس ".

" أنا الغد، أنا " رع " في ذلك اليوم الذي فيه فتك

" بأعداء سيد الجميع. وفيه ولى " حوريس " الحكم. "

***

وهكذا كان " آتوم " هو أول الآلهة الذي خلق الناس وملأ الأرض بمن عليها. ولكنه بدأ بأن خلق من نفسه " شو " إله الهواء و " تفنوت " إلهة الرطوبة (**Moisture**) فتزوجا وأنجبا " كب " إله الأرض و " نوت " إلهة السماء.

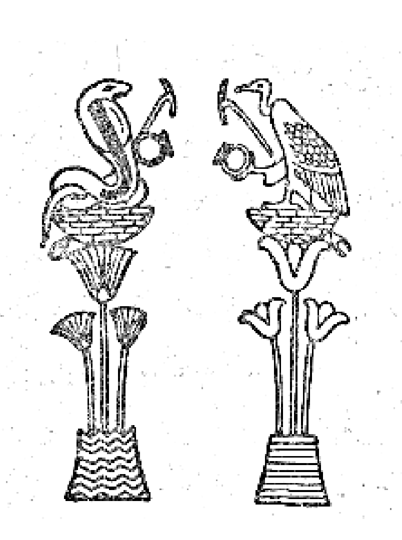
وتزاوج هذان الأخيران وأنجبا أربعة آلهة هم:

إوزيريس وأيزيس وست ونفتيس.

وتمكن " أوزيريس " من أن يرث عرش مصر بجزأيها. وكان المصري طوال تاريخه الطويل يفرق بين مصر العليا ومصر السفلى ويسميهما تسمية ثنائية هي الأرضين.

وكان لكل منهما مميزات التصقت بهما طوال العصور.

هناك التاج الأبيض رمز الوجه القبلي، والتاج الأحمر رمز الوجه البحري وكذلك إلهة الشمال التي تحميه وهي " واد چيت " وإلهة الجنوب التي تحميه وهي " نخبيت ". وغير ذلك من رموز كثيرة أثرت على نواحي متعددة من الديانة المصرية وتمخضت عن صور مختلفة من الأساطير المصرية.



اليمني " نخبيت " رمز الوجه القبلي واليسري " وادجيت " رمز الوجه البحري.

ومن أهم هذه الصور ما حدث بين الشمال والجنوب في عصر ما قبل التاريخ ثم بين الجنوب والشمال في أوائل العصر التاريخي من خلافات ونضال وعراك، كان المصري يرمز لابطاله بأوزيريس وتارة أخرى بحوريس وست. واشتركت معهم إيزيس.

ومن أشهر الأساطير التي يمكن أن نذكرها في هذه المناسبة الاسطورة الآتية والتي تمثل حلقة من حلقات العراك بين الشمال والجنوب وبين " حوريس " و " ست ".

وتلك الأسطورة مؤرخة من عصر أواخر الدولة القديمة أي حوالي عام ٢٤٠٠ ق. م ولو أنها ظهرت في عصر الدولة الوسطى (٢٠٠٠ ق. م) مدونة فوق توابيت الموتى. ثم استمرت مستعملة بين النصوص التي تكون في مجموعها ما نسميه (كتاب الموتى - ١٥٠٠ ق. م) وبقيت منتشرة حتى أواخر العصور الفرعونية.

وهذه الأسطورة هي كما يلي:-

حدث ذات يوم أن أراد " حوريس " أن يرى " رع " ليقرأ له ما سوف يأتي بعد الغد. وبينما كان الاثنان يجلسان مر عليهما خنزير أسود.

فجزع " حوريس " من شكله وقال لـ " رع ":-

" هل رأيت هذا الخنزير الأسود؟ "

فقال " رع ":-

" نعم رأيته. فهل لك أن تنظر إليه مرة ثانية. "

وما كاد " حوريس " يلتفت إليه حتى صرخ صرخة مدوية لأن هذا الخنزير كان قد رماه بسهم ناري أصابه في عينه.

فجزع " رع " وقال:-

" قد عرفته. إنه " ست " الشرير. "

أما " حوريس " فأخذ يولول:-

" إنه فعلا " ست " الذي أصاب عيني.

" لا تدع " ست " يهرب دون معاقبته. "

وطار عقل " حوريس " من فرط الألم.

ولكن " ست " الذي كان متخفيا في شكل الخنزير اختفى ولم يظهر له أثر، وزاد تألم " رع " لما حدث لحوريس " وقال:-

" دعوا " حوريس " يستلقي في سريره حتى يستريح مما أصابه.

" إنه اللعين " ست " الذي أصاب عين " حوريس " بسهم من النار.

" إنه محرم على الآلهة وعلى حوريس ".

وعندما أفاق " حوريس " من إغمائه واسترد صحته ونظره وهبه " رع " مدينة بي (pe) ففرح بهذا العطاء فرحا كبيرا وانقشعت السحب واحتفلت البلاد بهذا كثيرا.

هذه الأسطورة تعطينا تفسيرا واضحا لعادتين من عادات المصريين القدماء التي ورثناها عنهم ولا زلنا نحافظ عليهما حتى الآن.

الأولى هي عادة تحريم لحم الخنزير على المصريين – ومن الغريب أن المصري القديم في عصوره البدائية الأولى استأنس الخنزير واستعمله في شتى الأغراض. والدليل على ذلك أن عظام هذا الحيوان يعثر عليها بكثرة بين مخلفات الإنسان الأولي الذي عاش في مصر قبل التاريخ.

أما المصري في العصور التاريخية فقد استعمل الخنزير في أغراض شتى، أهمها أنه كان يطلق قطيعا منه فوق سيقان الحبوب لكي يدرسها ولكن المصري وجد أن هذا الحيوان مضر إذا استعمل كغذاء وأن لحمه غير نظيف. وهذا هو السبب الذي اعتبر من أجله أكل لحم الخنزير محرما عند المصريين القدماء.

أما العادة الثانية فهي ما يصنعه المصريون الحاليون عندما يحدث كسوفا للقمر فهم عادة يهللون ويقرعون الطبول والصفائح المعدنية

الفارغة محدثين بذلك دويا مفزعا منشدين أثناء ذلك ما يأتي:-

" يا أولاد الحور سيبوا القمر ينور "

وفي كثير من القرى يصوب الرجال بنادقهم نحو القمر ويطلقونها، ولا شك أنهم يفعلون هذا لتخويف ذلك العدو الذي يحاول الاعتداء على القمر.

وإذا ربطنا بين هذه العادة وبين ما كان المصريون القدماء يعتقدون فإننا لا شك نجد أن الاتصال موجود وأن المصري الحديث لا يعبر في حركاته الحالية إلا عن معتقدات قديمة ورثها - دون أن يدري - عن أجداده الأولين.

اعتقد المصري القديم أن الإله " حوريس " له عينان إحداهما القمر والأخرى الشمس. وكما نعلم حاول " ست " أن يضعف من حجة " حوريس " في قدرته على تحمل أعباء الحكم كوريث لوالده " أوزيريس " بأن يقتلع إحدى عينيه. ولكنه لم يقدم على فعلته هذه بصراحة لأنه كان يخشى " حوريس " خشية الباطل للحق.

وفي أسطورتنا هذه أظلمت الدنيا باختفاء القمر وهو العين اليسرى لحوريس كنتيجة لاعتداء " ست " عليها.

وتمكن " رع " من أن يرجعها إلى " حوريس " فاختفى الخسوف.

أسطورة إنقاذ البشر من الفناء

هذه أسطورة من أروع أساطير المصريين القدماء. تحدثوا بها لكي يظهروا من طرف خفي ما عرف عن الإنسان من ميل إلى الشر. وعن تعسفه ومغالاته في الاستبداد إذا ترك له الحبل على الغارب. فاغضب هذا النزوع إلى الشر الإله الكبير وأراد أن ينتقم من هذه المخلوقات الضعيفة التي شقت عصا الطاعة على خالقها ولكنه في آخر الأمر أخذته الرأفة وعفا عنهم إبقاء على من بقي منهم، عسى أن يكون في ذلك عبرة ومثلا يضرب للبشر الضعاف فيردعهم ويقوم من ميلهم إلى الشر والخيانة.

ويبدو أن هذه الأسطورة كانت محبوبة عند المصريين لأننا عثرنا عليها مكتوبة في أكثر من مكان. وكان الملوك أنفسهم يتعلقون بما انطوت عليه من حكمة عميقة. فأمروا بنقشها على جدران مقابرهم الداخلية لتصحبهم إلى الدنيا الثانية.

ومن بين المقابر التي خلدت الأسطورة مقابر سيتي الأول ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث في وادي الملوك بالأقصر، ويمكننا أن نؤرخها فيما بين القرن الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد.

وهذا هو نص الأسطورة:-

" حدث فيما مضى من الزمان – حين كان " رع " يسكن الأرض.

وبعد أن خلق الناس وخلق كل ما يدب على ظهر الأرض. كما خلق الآلهة. أن كان الناس يتقدمون إلى الإله الأكبر بكل فروض الطاعة والعبادة اللازمتين لمقامه العلى. "

" ولكن الإله كان قد داهمته الكهولة بتعاقب السنين والأجيال وأصبح عجوزا، عظامه من فضة، ولحمه من ذهب، وشعره من اللازورد. "

" فأخذ الناس يتهكمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال. "

وعلم جلالة الإله ما كان يدور بين الناس وما كانوا يهمسون به. فغضب وأمر الآلهة التي كانت في ركابه قائلا:-

" ادعوا لي عيني على عجل وكذلك " شو " و " تفنوت " و " كب " و " نوت " وكذلك كل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معي عندما كنت أسكن " نون " ".

" وكذلك أدعوا " نون " نفسه وليأتي مع أفراد حاشيته.

ادعوهم جميعا في السر حتى لا يراهم البشر.

واحضروهم إلى القصر الكبير. "

وحضر هؤلاء الآلهة جميعهم واجتمعوا سرا حتى لا يعرف البشر بأمر اجتماعهم. وعندما دخل عليهم الإله خروا ساجدين بين يديه واضعين أيديهم على الأرض.

ثم هتفوا قائلين:-

" تحدث إلينا، حتى نعرف ما خطبك. "

فقال " رِع " موجها كلامه إلى " نون ":−

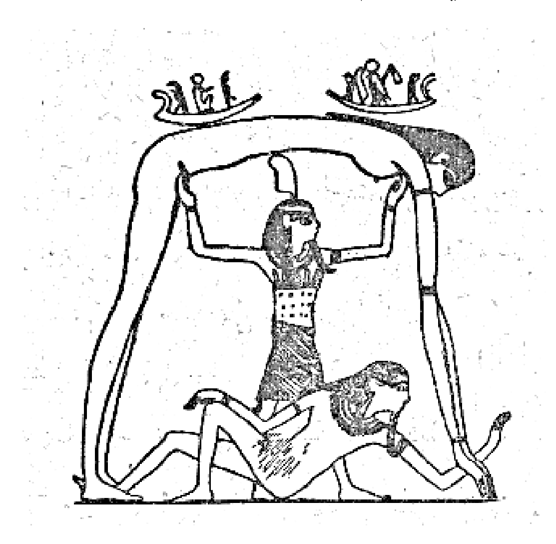
" أي " نون " يا أكبر الآلهة سنا يا من وجدت فيه.

" يا أقدم الآلهة. أدعوك لتدلي برأيك.

" إن البشر الذين خلقتهم قد تآمروا ضدي.

" إن البشر الذين خلقتهم من عيني يتهامسون ضدي.

" إنهم يقولون في قلوبهم متهكمين:



" نوت " كإلهة للسماء تنحني فوق " كب " إله الأرض ووقف " شو " إله الهواء رافعا إياها بذراعيه

" انظروا ! إن الملك أصبح كهلا، تحولت عظامه إلى

" فضة ولحمه إلى ذهب وشعره إلى لازورد.

" هل لك أن ترشدني إلى ما أنا صانع بهم.

" من أجل ذلك دعوتك لاستشارتك.

" اعلم أنني لم أقدم على إفنائهم حتى أسمع منك ما تنصحني به. "

وتكلم " نون " قائلا:-

" أنت أيها الإله العظيم.

" أنت يا من تفوق خالقك في عظمتك.

" أنت الابن الذي فاقت قوته قوة أبيه.

" أرسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك. "

" عندئذ سوف يختفوا من فوق الأرض. "

فأرسل " رع " عينه لتفتك بالبشر حسب نصيحة " نون " ولكنهم عندما شعروا بها تفرقوا في الصحاري واختفوا بين الصخور.

فقال " رع ":

" أنظروا كيف هرب البشر إلى الصحاري واختفوا بين الصخور. إن قلوبهم هلعا من عيني. "

عندئذ تقدمت جموع الآلهة إلى الإله " رع " بنصيحة أخرى وهي أن يرسل عينه بين الناس على الأرض لتفتك بهم عن كثب.

وقالوا له:-

" دع عينك تنزل إلى الأرض لتقبض على أولئك الذين يتآمرون بالشر ضدك.

" إنك عينك لا تكفي قوتها أن تقوم بمهمتها هذه.

" فلترسلها في شكلها كابنتك " حاتحور ".

فنزلت هذه الإلهة إلى الأرض وفتكت بالبشر المنتشرين في الصحراء ورجعت إلى أبيها.

فقال لها الإله:-

" مرحبا بك يا " حاتحور " يا من قمتي بما أدعو إليه من " أعمال. "

فقالت الإلهة " حاتحور ":-

" يا من تحيا من أجلي.

" لقد كنت جبارة قوية بين البشر.

" مهمتك هذه أقوم بها بقلب مفعم بالسرور والهناء. "

فرد عليها الإله قائلا:-

" إن فتكك بهم سوف يوطد سلطاني عليهم.

" ولكن كفى ما قمتي به.

" لا تقتلي منهم بعد ذلك فردا. "

أما الآلهة فإنها لم تستمع إلى ما قاله لها أبوها. واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر وأخذت تسبح في دمائهم وخشي " رع " في صبيحة اليوم التاني أن تأتي " حاتحور " على ما تبقى منهم.

فصاح فيمن حوله:-

" ادعوا لي على عجل رسلا يسابقون الريح.

" تفوق سرعتهم سرعة الظل (؟). "

فحضر الرسل على الفور وأمرهم جلالة الإله:-

" اذهبوا إلى (إلفنتين) واحضروا لي كل ما تستطيعون حمله

" من أل " ددي ".

وعندما أحضر الرسل ال " ددي " إلى الإله أمر بصحنه كما أمر بعض الخادمات بإعداد كميات كبيرة من الجعة وخلطها بأل " ددي ". فأصبحت في لونها تشبه دماء البشر. ثم ملأ بها سبعة آلاف جرة.

وفي الصباح أمر " رع " أتباعه أن يحملوا هذه الجرار بما فيها من جعة حمراء وسكبها في المكان الذي اعتزمت " حاتحور " أن تفتك فيه بمن تبقى من البشر.

وقال الإله متمتما:-

" ما أجمل ما فعلت.

" سأحمي ما بقي من البشر من فتكها. "

وبدت الحقول كبركة كبيرة تعلوها طبقة من الجعة إلى ارتفاع ثلاثة أكف.

ولقد تم ذلك كله بأمر من جلالة هذا الإله.

وفي الصباح المبكر أتت الإلهة " حاتحور " إلى هذا المكان الذي غمره ذلك الفيضان وتمتعت برؤية وجهها الصبوح مرتسما على سطحه. فضحكت وعم السرور نفسها.

ثم شربت ولذ لها الشراب حتى ثملت. فرجعت تترنح ولم تقو على إتمام ما اعتزمته من الإتيان على ما تبقى من البشر.

وأقيمت الاحتفالات وسر الإله. ورضيت نفسه بنتيجة هذا العمل.

***

رأى المصري في هذه الأسطورة أشياء أخرى غير ما قدمت إذ ربط بين الفيضان الذي نتج عن سكب هذه الأواني السبع من الآلاف وبين الفيضان الحقيقي الذي يغمر البلاد مرة كل عام.

ومما يؤكد لنا هذا الربط أن المصري القديم كان يحتفل بعيد " حاتحور " الذي يمتاز بكثرة الشراب والإقبال على تعاطي الجعة في شهر توت وهو أول شهور فصل الفيضان.

وفي هذه الحالة يمكننا أن نقارن بين غضب " رع " على البشر وبين القحط والجفاف الذي يسبق شهور الفيضان في مصر

ووصلت إلينا بعض نماذج من هذه القصة لم تكن نهايتها كما ذكرنا

بل أتبعوها بفصل آخر يتحدث عن هذه الآلهة وثورة غضبها عندما ذهب عنها تأثير الخمر.

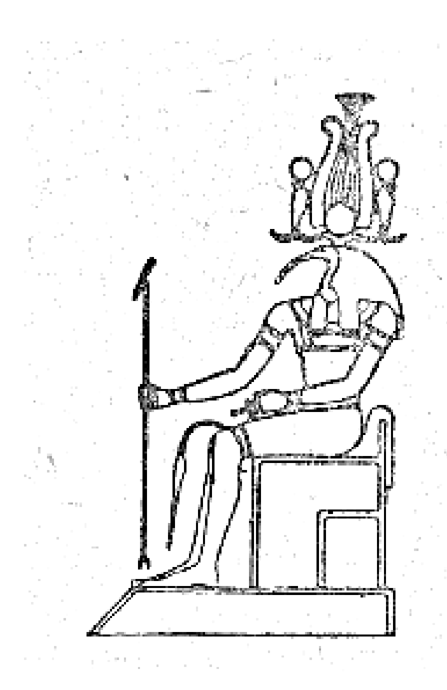
فنددت بأبيها الذي منعها من إكمال مهمتها والقضاء على البشر جميعهم. واعتزمت الهجرة من مصر واتخذت لنفسها شكل أنثى (زوجة) الأسد. واختارت السودان مكانا لسكانها.

فحزن " رع " لفراقها وأرسل وراءها الرسل بعد الرسل يتوسلون إليها حتى يقنعوها بالرجوع إلى بلدها. ولكن جهودهم كانت دائما تبوء بالفشل.

وفي آخر الأمر التجأ الإله إلى الأخذ بنصيحة مجمع الآلهة. فأدلوا له برأيهم ونصحوه أن يرسل حكيم الآلهة " تحوت ". فهو الوحيد الذي تؤهله صفات الحكمة والدراية بخلق الآلهة أن يقنعها بالعودة إلى مصر.

فاتخذ " تحوت " لنفسه شكل القرد وذهب إليها ووجدها تتجول في صحراء السودان. وعندما رأته زمجرت. فعرف أنها لا تزال غاضبة. والتجأ إلى حيلة. عله يجلب السرور إلى قلبها.

فقام بقفزات مختلفة وحركات لطيفة جعلت الإلهة تهدأ بل تبدأ في الضحك.



المعبود " تحوت " إله الحكمة

وعندئذ انهمك " تحوت " في أساليبه المضحكة حتى لاحظ أن حالة الإلهة أصبحت تسمح له بمفاتحتها بأمر المهمة التي أتى من أجلها.

وفي آخر الأمر نجح ورجعت معه الإلهة وسعدت مصر بقدومها كما فرح أبوها بلقائها بعد غياب طويل.

أسطورة الأميرة والإله " خنسو "

هناك نوع من الأساطير المصرية كانت تهدف إلى غرض معين يتفق إلى حد بعيد مع ما نسميه الآن (البروباجندا). ولقد عرفنا أسطورة بردية وستكار التي كانت تهدف إلى ذر الرماد في العيون بالنسبة إلى عدم شرعية أفراد الأسرة التي قوضت حكم الأسرة الرابعة واعتلت هي العرش. وكذلك أسطورة حاتشبسوت وولادتها التي أرادت منها الملكة أن تدافع بها عن استقلالها بالعرش.

أما الأسطورة التي حاكها الكهنة عن امنحوتب الثالث فقد أكدت أن الغرض منها هو أن يغض الشعب النظر عن المعارضة التي ربما يلاقيها امنحوتب كملك شرعي نظرا لأن أمه لم تكن مصرية.

والأسطورة الآتية هي من نفس النوع اخترعها كهنة الإله " خنسو " ونقشت على جدران معبده، وهي تهدف إلى الإشادة بقوة إلههم وقدرته على الإتيان بالأعاجيب.

ولقد حاكها الكهنة بأسلوب تاريخي، إذ جعلوا مسرح الأسطورة مدينة طيبة العظيمة. وحددوا العصر. عهد الملك رمسيس الثاني الذي طار صيته في أنحاء العالم المتمدين في ذلك الوقت نظرا إلى الفتوحات الكثيرة التي تمت على يديه ولأنه استن سنة حميدة وهي التزوج من أميرات أجنبيات من الأسر المالكة في أقطار الشرق الأدنى القديم. وهو

هنا يتزوج بابنة ملك الحيثيين بعد أن حاربه أعواما طويلة. وكانت الحرب بينهما سجالا. وانتهت بعقد محالفة دفاعية هجومة تعتبر من أهم المعاهدات التاريخية في العصور القديمة.

وتبدأ الأسطورة بمقدمة طويلة تزخر بألقاب رنانة تشيد بمفاخر كل ملك منهما وبقوته وعظمته وقدرته على الحرب والفتوحات.

ثم يأتي الحديث عن الأسطورة نفسها كما يلي:-

وهكذا وصل جلالة الملك رمسيس (الثاني) حسب عادته في كل عام إلى بلاد نهارينا (بلاد ما بين النهرين) فسارع إليه أمراء البلاد الأجنبية يقدمون له فروض الطاعة وينحنون أمام عظمته في اطمئنان.

وحملوا معهم هداياهم من الذهب والفضة واللازورد والتوركواز وأنواع الأخشاب الفاخرة التي تنبت في بلاد الإله.

وأمر أمير " بختن " باحضار هداياه التي كان على رأسها ابنته الكبرى وتقدم إلى جلالته راجيا أن يقبل هذه الهدية وأن يتفضل ويغدق عليه نعمة الحياة.

وأعجب جلالة الملك بهذه الفتاة وسر قلبه بها أكثر من كل شئ وأمر بأن يكون اسمها المصري: زوجة الملك الكبرى " نفرو – رع ".

وعندما ما رجع جلالته إلى مصر قامت هذه الفتاة بكل واجبات الزوجة الشرعية للملك.

وحدث في العام الثالث والعشرين في اليوم الثاني والعشرين من

الشهر الثاني من الفصل الثالث، أن كان جلالته في مدينة طيبة القاهرة سيدة مدن مصر، يقوم بأداء الاحتفالات لأبيه الكبير " أمون رع " سيد العروش والمهيمن على القطرين وذلك لحلول عيد " أوبت الجميل الجنوبي ".

فدخل عليه من يقول لجلالته:-

" لقد وصل رسول من أمير " بختن " وهو يحمل هدايا لا حصر لها لزوجة الملك. "

فأمر جلالته بدخول الرسول ومعه هداياه وأمره بالتحدث فقال:-

" المجد لك. يا " رع ". يا صاحب الأقواس التسعة. نحن نحيا من فضلك. "

ثم تقدم الرسول وقبل الأرض أمام جلالته وتابع حديثه فقال:-

" لقد حضرت. أي مولاي، من أجل " بنت - رشت " الأخت الصغرى لزوجة جلالتكم " نفرو - رع ".

" لقد أنهك المرض جسمها.

" فهل لجلالتكم أن تتفضلوا بإرسال أحد حكمائهم

" ليفحصها؟ "

وهنا تكلم الملك قائلا:-

" احضروا لي على عجل رجال (بيت الحياة).

وكذلك هيئة علماء العاصمة. "

فحضروا على الفور. فقال لهم جلالته:-

" لقد ناديتكم لتستمعوا إلى هذا الأمر.

" والآن فليتقدم أحدكم ممن عمر قلبه بالحكمة.

" وقدرت أنامله على الكتابة. "

فتقدم الصفوف الكاتب الملكي " نون - إم - حب " وحيى جلالته. فأمره بمصاحبة رسول أمير " بختن " والسفر معه بلا إبطاء.

***

وعندما وصل الحكيم المصري إلى بلاد " بختن " وجد الأميرة " بنت - رشت " في حالة من مسته أرواح شريرة.

حقا لقد وجد عدوا صعب المراس.

وأرسل أمير بختن مرة أخرى إلى جلالة الملك يقول:-

" أيها الملك. يا مولاي. أرجو جلالتكم أن تأمروا بإله يستطيع التغلب على هذا الروح الشرير. "

ووصل رسول الأمير إلى الملك في العام السادس والعشرين. الشهر الأول من الفصل الثالث. في موعد الاحتفال بآمون وكان الملك في طيبة.

وأعاد الملك كلمات الرسول وكان جلالته في حضرة الإله " خنسو

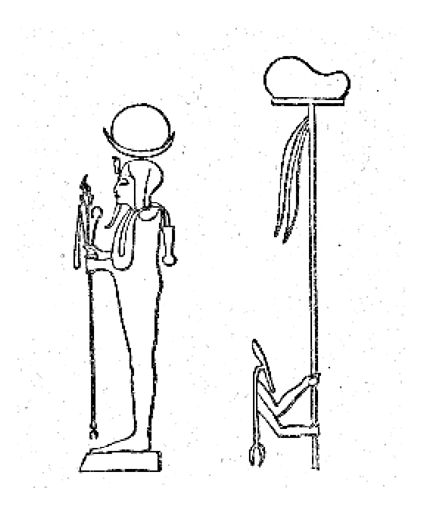
" الذي في طيبة. الجميل. الخير " قائلا:-

" مولاي الطيب. إني أخدمك اليوم لأطلب المساعدة من أجل ابنة أمير " بختن ". "

وهنا حمل الإله " خنسو. الذي في طيبة. الجميل. الخير " إلى الإله " خنسو. منفذ المشاريع. الإله الأعظم. الذي يطرد الأرواح الشريرة ."

وقال الملك إلى الإله " خنسو. الذي في طيبة. الجميل. الخير -:"

" مولاي. إذا اتجهت بوجهك نحو الإله " خنسو. منفذ المشاريع الإله العظيم. الذي يطرد الأرواح الشريرة ". فسوف يرضى بالتوجه إلى بلاد بختن. "



الإله " خنسو " ورمزه المقدس

فاومأ الإله برأسه مرارا:

ثم قال جلالته:-

" ولتزوده بقوتك السحرية حتى يستطيع إنقاذ ابنة أمير " بختن "

وهنا أومأ الإله " خنسو. الذي في طيبه. الجميل. الخير " مرارا عديدة برأسه وزود الإله " خنسو. منفذ المشاريع " بقوته السحرية مرة بعد مرة حتى بلغت أربع مرات.

***

وأمر جلالة الملك أن ينقل " خنسو. منفذ المشاريع " إلى سفينة كبيرة تحرسها خمسة قوارب نيلية.

وجهزت السفينة بعربات وخيول كثيرة من الغرب والشرق.

ووصل هذا الإله إلى بلاد " بختن " بعد رحلة بلغت عاما وخمسة شهور..

وقابله أمير " بختن " بجيوشه وضباطه. وعندما وقف أمام الإله " خنسو. منفذ المشاريع " خر على الأرض حتى لمسها ببطنه وقال:-

" لقد حضرت إلينا - فلتكن رحيما بنا. بحق ملك مصر العليا، ومصر السفلى (أوسر - معات - رع - ستب - إن رع. "

وتقدم الإله إلى المكان الذي ترقد فيه " بنت - رشت " ونفذت حمايته السحرية إلى ابنة أمير بختن لتشفيها من علتها حالا.

وهنا ارتفع صوت الروح الذي مسها وقال في حضرة الإله " خنسو. منفذ المشاريع ":-

" مرحبا بك أيها الإله العظيم الذي يطرد الأرواح الجالبة للأمراض."

" إن بختن أصبحت وطنك. وأهلها عبيدا لك. أنا كذلك عبد لك."

" وسوف أرحل إلى المكان الذي أتيت منه حتى تطيب بالا وتسعد من أجل المهمة التي قدمت لها. "

" هل لك أن تأمر أمير بختن بأن يخصص يوم عطلة أحتفل به معك؟ "

وهنا أومأ الإله لكاهنه برأسه قائلا:-

" دع أمير بختن يقدم قربانا عظيما في حضرة هذا الروح. "

وفي الوقت الذي تمت فيه هذه الأشياء بين الإله " خنسو. منفذ المشاريع " والروح، كان أمير بختن يقف منتظرا ومن حوله جنوده وقد أخذ منه الهلع مأخذه.

وقام أمير بختن بتقديم القرابين في حضرة هذا الإله وهذا الروح واحتفل بيوم إجازة من أجلهما.

ورحل الروح بسلام إلى حيث أراد رضوخا لأمر الإله " خنسو. منفذ المشاريع ". وفرح أمير بختن وأهل البلاد جميعا بهذا العمل فرحا شديدا.

وأسر أمير بختن في نفسه أمرا:-

"سأدعو هذا الإله ليبقى بيننا هنا في بختن. ولن أدعه يرجع إلى مصر."

واستقر المقام لهذا الإله في " بختن " مدة ثلاثة أعوام وتسعة أشهر.

وحدث ذات مساء أن رأى أمير بختن في نومه هذا الإله وقد خرج من ناووسه كصقر ذهبي وحلق في السماء واتجه نحو مصر.

فصحا من نومه فزعا وأسرع إلى كاهن الإله " خنسو. منفذ المشاريع " يقص عليه رؤيته وطلب إليه أن يسرع مع الإله بالعودة إلى مصر.

وزود الإله بكثير من الهدايا القيمة. وبأعداد لا تحصى من الجند والخيول ورجع إلى مصر.

وما كاد الإله " خنسو. منفذ المشاريع " يصل إلى طيبة حتى اتجه مباشرة إلى " خنسو. الذي في طيبة. الجميل. الخير. " وكدس أمامه كل العطايا والهدايا التي زوده بها أمير بختن.

ونزل " خنسو. منفذ المشاريع " بسلام وسعادة إلى معبده في السنة الثالثة والثلاثين في اليوم التاسع عشر من الشهر الثاني من الفصل الثاني من حكم ملك الشمال والجنوب " أو سر – معات – رع – ستب – إن – رع " معطي الحياة مثل " رع " إلى الأبد.

أسطورة " حوريس " والعقرب

إن قصة " إيزيس " كانت من أحب القصص الإلهي إلى المصريين. ولا غرابة في ذلك فهي قصة امرأة معذبة فجعت في زوجها ثم ذاقت الأمرين أثناء البحث عن جثة هذا الزوج المقتول كما وقفت وحيدة تدافع وتناضل من أجل وحيدها حوريس الذي بثت فيه نزعة الثأر لأبيه.

والقصة الآتية هي واحدة من تلك القصص التي تداولتها ألسنة المصريين وتظهر فيها " إيزيس " ككل أم حنون لا تألو جهدا في تنشئة وحيدها لكي ينفذ ما بثته أمه في قلبه الصغير من عاطفة الثأر لأبيه المقتول ولكي يتولى شئون الحكم كوريث وحيد لأبيه " أوزيريس " ملك الشمال والجنوب.

ولم تكن هذه القصة تعتبر فقط كأسطورة يتحدث بها الأب إلى ابنه أو الأم إلى بنتها ولكنها كانت في نفس الوقت واحدة من القصص التي كانت تستعمل لأغراض سحرية. إذ اعتقد المصري اعتقادا راسخا بأن بعض الأساطير التي تتحدث عن بعض شئون الآلهة وخاصة تلك الشئون التي تتعلق بمصائب حلت ببعضهم، اعتقد أن هذه الأساطير تصبح ذات أثر فعال إذا استعملت كتميمة سحرية، إذ أن الأساليب التي تخلص بها هذا الإله أو ذاك من محنته هي بعينها التي تخلص من يستعملها من البشر من محنة مماثلة.

واعتاد بعض المصريين أن يقيموا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صورا تمثل الإله " حوريس " وهو يطأ بقدميه تمساحين ويقبض بيديه على بعض العقارب والثعابين وغيرها. والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من أن تدخل المنزل وتفتك بسكانه.

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات الكونت (ماترنيخ) ويعرف بين العلماء باسم لوحة ماترنيخ.

وفيما يلي ترجمة للنصوص السحرية المنقوشة فوقها. وهي كما قلت نتحدث عن أسطورة من تلك الأساطير التي كانت شائعة بين الشعب المصري. وهذه الأسطورة تتحدث عما حدث للإله " حوريس " من أحد العقارب. وتستعمل أيضا تعويذة تقي من لدغ العقرب.

***

حدث ذات يوم بعد أن فتك " ست " بأخيه الطيب الخير " أوزيريس " أن سجن " ست " زوجة أخيه وأخته " إيزيس " خوفا من مكائدها ودرءا لما تتمتع به من تأثير كبير على الناس.

ولكن الإله الحكيم " تحوت " تبدي ذات ليلة للإلهة " إيزيس " وفك قيودها وأخرجها من سجنها آمرا إياها أن تهرب نحو الشمال وتخفي نفسها بين مستنقعات الدلتا، وتنتظر هناك حتى تضع ابنها من " إوزيريس ".

وزود " تحوت " إيزيس بسبع عقارب لكي تحميها وتدافع عنها أثناء

رحلتها إلى الشمال. وكانت أوامر " تحوت " إلى هذه العقارب السبع أن:

" اتجهي نحو الشمال، ولتكن حواسك يقظة للطريق. "

وأطاعت العقارب السبع الأوامر فسارت واحدة أمام الآلهة لنفسح لها الطريق وسارت اثنتان منها على كل من جانبي الآلهة وبقيت اثنتان في المؤخرة.

وبعد أن سار هذا الموكب أياما طويلة مضنية وصلت " إيزيس " وأتباعها إلى أرض المستنقعات في شمال الدلتا وكان الليل قد أقبل عندما وصلت الإلهة حدود قرية صغيرة.

ولما كان التعب والإجهاد قد نالا منها، وكان الجوع قد أخذ منها مأخذه فقد اتجهت نحو منزل رئيس القرية ورجته في أن يستضيفها أثناء الليل.

ولكن زوجة الرئيس وكانت متعاظمة ذات كبرياء رفضت أن تسمح لهذه المرأة الغريبة – التي كان مظهرها لا ينم على أنها الإلهة الملكة " إيزيس " – بقضاء الليل في ضيافتها.

إلا أنه حدث أن مرت في ذلك الوقت امرأة فقيرة تهش على طيورها، فأخذتها الشفقة على هذه الطارقة الغريبة ودعتها لتمضية الليل في كوخها الحقير.

وشعرت العقارب السبع التي صاحبت " ايزيس " في رحلتها الطويلة

بالمذلة والإهانة التي لحقت سيدتها " ايزيس " من زوجة رئيس القرية وأضمرت الثأر من هذه المرأة.

ونفذت مؤامرتها بأن أفرغت ست منها سمها في ذيل السابعة التي زحفت بهدوء من تحت باب المنزل ووصلت إلى ابن رئيس القرية وكان يغط في نومه ولدغته. وسرى السم المضاعف سبع مرات في جسم الطفل الذي استيقظ مذعورا من نومه وصاح صباحا سببه هذا السم المضاعف سبع مرات، فانزعجت أم الطفل وانحنت عليه تضمه إلى صدرها الحنون، ولكن الطفل كان بين الحياة والموت. ولم يستطع أحد أن يشفيه من هذه اللدغة المميتة.

ولم تستطع الأم المسكينة في محنتها إلا أن نخرج إلى الشارع وهي تصرخ وتولول وهي أشبه ما تكون بسمكة تشوى في النار

وسمعت " إيزيس " هذه الضوضاء وأدركت ما ينم عليه صوت الأم من الجزع. فسارعت إليها واستفسرتها خطبها.

ولكنها رأت ويا هول ما رأت فقد ارتطم أحد سكان المنزل أثناء الهرج والمرج الذي حدث بمصباح في المنزل، فاندلعت النيران منه واشتعلت في المنزل وبذلك تضاعف المصائب التي حلت بمنزل رئيس القرية الذي فقد ابنه وأكلت النيران منزله.

وهنا رق قلب الإلهة على الأم الثكلى ونست الإهانة التي الحقتها بها منذ هنيهة ونادتها قائلة:-

" تعالى إلي، تعالى إلي.

" إني امرأة ذاع صيتها في مدينتها.

" إني اكتسبت من أبي مهارة استمددتها من فمه.

" إن فمي له قدرة سحرية لا مثيل لها. "

فسارعت المرأة إلى " إيزيس " ووضعت أمامها ابنها. ولما كانت الالهة قد تنبأت بما حدث فإنها تمتمت بتعويذتها السحرية منادية سم كل من العقارب السبع آمرة إياه أن يستل سمه من جسم الطفل.

ما أقوى سحرها وما أشد نفوذه ! إذ لم تكد تنتهي من تمتمتها حتى سال السم خارجا من جسم الطفل ودبت الحياة فيه.

فتلقفته أمه معافى شاكرة متلهفة. ومن غريب الأمر أنه في اللحظة التي استعاد الطفل فيها صحته انطفأت النيران بقوة سحرية من منزل رئيس القرية.

أما ما كان من " إيزيس " فإنها اعتزمت الاختفاء من القرية بكل سرعة خوفا من بطش " ست " وأسرعت خطاها متزغلة في أحشاء المستنقعات لنختفي عن أعين المتطفلين من الناس.

وفي هذا المكان الموحش استقبل الحياة " حوريس " بعد أن ذاقت أمه الأمرين في وحدتها المضنية وقالت " إيزيس " بعد أن ولدت طفلها:—

" ولدت "حوريس" بن "أوزيريس" بين مستنقعات البردي وفرحت

بولادته كثيرا لأني جلبت الحياة إلى من سيجيب صوت أبيه ويثأر من قتلته. ولقد أخفيته وحجبته عن أعين الرقباء "

***

وهكذا عاشت الأم مع وحيدها بين هذه المستنقعات الموحشة ولا هم لها إلا تنشئته ورعياته، فلا تتركه إلا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم حياتها من مأكل أو مشرب.

ولكن " ست " الشرير علم بالأمر ونما إليه أمر هذا الطفل. فأرسل إليه عقربا لتلدغه في فترة غياب أمه عنه، وعندما رجعت وجدت وحيدها يكاد يفارق الحياة وهو مستلق على الأرض التي رواها الماء الذي سال من عينيه والزبد الذي خرج من فمه.

كان جسمه لا حراك به وكانت نبضات قلبه قد تضاءلت وخفتت وتقلصت عضلات أعضاء جسمه.

وعندما رأت " إيزيس " حال طفلها صرخت صرخة مدوية سمعها الناس في القرية المجاورة. فهرعوا إلى مصدر الصوت وصاحت امرأة من بينهم قائلة:-

" لابد وأن " حوريس " قد لدغته عقرب "

أما " إيزيس " فقد قربت أنفها من فم الطفل لتستطلع دبيب أنفاسه ثم فحصت جرحه ووجدت السم عالق به.

ورغم أن " إيزيس " قد تمكنت من أن تشفي ابن رئيس القرية من

محنة مماثلة إلا أنها لم تستطع إيراء وحيدها. ولعل ذلك لأن العقرب في هذه الحالة قد بعث به إله ولم يكن عقربا عاديا.

وأخذت " إيزيس " في محنتها هذه تصرخ مولولة:-

" أي " رع " إن ابنك " حوريس " قد لدغ.

إن " حوريس " قد لدغ.

وهو الوريث والمولى على عرش " شو ".

إن الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ.

إن " حوريس " بن " أوزيريس " قد لدغ.

إن " حوريس " الطفل البرئ والصغير بين الآلهة قد لدغ.

" إن " حوريس " الذي أعددته لكي يثأر لأبيه قد لدغ.

" إن " حوريس " الذي خشيت أن يصيبه مكروه وهي في رحمي قد لدغ.

إن " حوريس " الذي رعيته قد لدغ.

إن " حوريس " الطفل الذي رجوت حياته مجروح.

إن الطفل قد مات. "

***

وسمعت " نفتيس " أخت " إيزيس " بالحادث فحضرت باكية

وكذلك الإلهة " سلكت " سيدة العقارب. ونصحتها " إيزيس " بالدعاء للسماء حتى تقف سفينة " رع " بمن فيها.

فأرسلت " إيزيس " صراخ قلبها إلى موكب الشمس فانزعج " رع " وأمر بنفسه إيقاف المركب الذهبي وألا تسير في رحلتها اليومية.

وأرسل الإله " تحوت " ليستطلع أمر ما حدث لإيزيس. فنزل هذا الإله إلى الأرض وأخبر " إيزيس " أنه أتى ليشفي ابنها قائلا:-

" ولكي أشفي كل شخص أصيب بمثل ما أصيب به " حوريس ". "

ولكن " إيزيس " قابلته بعويلها نادبة ابنها الصغير، إلا أن " تحوت " أكد لها أن كل شئ سيسير على ما يرام.

وبدأ " تحوت " يرتل تعويذته السحرية معددا أوصاف " حوريس " مقارنا إياها بأوصاف كائنات إلهية متعددة:-

" حوريس تحيطه العناية.

" حوريس مثله كمثل ذلك الذي في قرص الشمس الذي

" يضئ الأرضين بنور عينيه.

" أي حوريس. استيقظ.

" أي حوريس. إن حصانتك اصبحت مؤكدة.

" استيقظ. وادخل الفرح إلى قلب أمك " ايزيس ".

" أن كلمات " حوريس " سوف تربط بين القلوب.

" إن " حوريس " سوف ينشر السلام على أولئك الذين

يرغبون في السلام.

" انا " تحوت " بن " رع " البكر.

" إن " آتوم " وأصحابه أصدروا أمرهم لي بأن أشفي

" حوريس " لتقر عين أمه.

" ولأشفي كل من كان مصابا بنفس العلة.

" سيحيا " حوريس " من أجل أمه.

" وسيحيا كذلك كل من كان مصابا بنفس العلة "

أسطورة أبناء " رع " الذين تولوا عرش مصر

لهذه الأسطورة أهمية خاصة فهي تقوم على أساس تاريخي وتوري الحركات السياسية التي قامت في أواخر الأسرة الرابعة لإنهاء حكم ملوكها واستيلاء أفراد لا يمتون إلى الأسرة المالكة بصلة على العرش.

ونحن نعلم من التاريخ أن ملوك الأسرات الأربعة الأولى تميزوا بحكمهم الاستبدادي وبكل ما يتبع الاستبداد من جبروت وطغيان. فقد كانوا آلهة حقيقيين يحيون فوق الأرض. حكموا البلاد بسرهم الإلهي ولم يكن لأي فرد – لا يمت بصلة إلى أسراتهم الملكية – أن يتمتع بأية حقوق في مصر. ولا يمكن أيضا أن يتمتع أي فرد بوظيفة من وظائف الدولة إلا إذا كان أميرا من أمراء الأسرة المالكة.

ويمتاز عصر هذه الأسرات الأربع في نفس الوقت بنهضة كبيرة شاملة، جند للقيام بها والمضي فيها جماعات كبيرة من الشعب.

واتسم هذا العصر بطابع التقدم السريع في جميع مناحي الحياة من سياسية واقتصادية وعلمية وفنية.

ولكن النفع كان يؤول في النهاية إلى الملك. فهو الذي كانت تنتهي إليه كل مظاهر هذه الحضارة، كما أن الجميع كانوا يعملون ويكدون للاعلاء من شأنه دون أن يجنوا شيئا – ولو ضئيلا – من ثمار غرسهم.

وكان لابد لهذا النظام أن يصل إلى نهايته الحتمية، نعم كان لابد له أن ينهار.

وقد عجل بإنهاء هذا النظام في أواخر الأسرة الرابعة استيقاظ الوعي القومي عند الفرد المصري.

لقد تبلور هذا الوعي عند أولئك الفنانين المهرة ذوي المدارك المرهفة وعند رجال الحكم الذين تمكنوا من أن يتقنوا – إلى حد بعيد مهنهم المختلفة. فبرزوا فيها وتوارثوها أبا عن جد ثم – في آخر الأمر – قام كهنة " رِع " – المغلوبين على أمرهم – بحركة ثورية للتخلص من استبداد هؤلاء الملوك الذين اعتبروا أنفسهم آلهة في مصر وأقصوهم عن العرش ونصبوا مكانهم أفرادا من أسرة تنازلت عن كثير من حقوقها الإلهية وبدأوا عهدهم بأن جعلوا من أنفسهم أبناء للإله. ولكنهم لم يدعوا بأنهم آلهة.

***

ونعود إلى الأسطورة التي تتحدث عن هذا الانقلاب بالصيغة التي يفهمها مصريو ذلك العصر. وتفيد بأن هذا الانقلاب حدث بمشيئة الإله " رِع " وكنتيجة لتدخله الشخصي.

وقد عثر عليها مكتوبة على بردية طويلة اشتراها رجل يدعى (وستكار) وسميت باسمه وكانت محفوظة حتى قبيل الحرب الأخيرة بين كنوز متحف برلين.

وفيما يلي نص هذه الإسطورة:-

حدث ذات يوم أن شعر جلالة الملك خوفو بملل فدعا أولاده وطلب منهم أن يحدثوه بما يزيل هذا السأم وبما يدخل السرور والغبطة إلى قلبه.

فتقدم ابنه " خفرع " وقال:-

هناك قصة حدثت في عصر جدنا الأكبر الملك " نب - كا " إذ ذهب هذا الجد في يوم من الأيام إلى معبد " بتاح " وفي طريقه عرج على منزل أحد الكهنة المرتلين ويدعى " أوبانز ".

وكان من بين حاشية الملك خادم وقع في حب امرأة الكاهن من أول نظرة. وتبادلت هي معه هذا الحب.

وفي المساء أرسلت زوجة الكاهن إلى الخادم صندوقا يحوي هدية جميلة وطلبت إليه أن يقابلها في (كشكها) الصيفي بحديقتها الكبيرة هناك وتمتعا بأوقات طيبة في خلوتهما هذه.

وكان يراقبهما خادم للكاهن، رأى من واجبه أن يطلع سيده على كل ما حدث.

فذهل الكاهن لهول ما سمع وصمم على الانتقام، وقد كان من الرجال الذين تعمقوا في شئون السحر وأتقنوها.

فطلب صندوقا من العاج المحلي بالذهب ثم صنع تمثالا من الشمع لتمساح يبلغ طوله سبعة قراريط وقرأ عليه تعويذة سحرية.

وطلب إلى خادمه أن يذهب في المساء إلى البركة التي اعتاد الحبيبان أن يستحما فيها فيلقي بتمثال الشمع في الماء.

وبعد لحظة قصيرة حضر العشيق ليتسحم في تلك البركة. وما كاد ينزل في الماء حتى تحول ذلك التمثال الصغير إلى تمساح ضخم يبلغ طوله سبعة أذرع وأمسك بتلابيب العشيق وسحبه إلى قاع البركة.

وكان الملك يجلس في ضيافة كاهنه المرتل. وعندما أراد الانصراف تقدم إليه الكاهن يرجوه أن يحضر إلى البركة ليرى بعينيه أعجوبة حدثت له.

وما كادا يصلان إلى حافة البركة حتى نادى الكاهن التمساح فخرج إلى سطح الماء ممسكا في فمه العشيق وقال الكاهن موجها كلامه إلى الملك:-

" أن هذا التمساح من صنع يدي وهو ينفذ كل ما أطلبه منه "

ولكن الملك أمر الكاهن أن يعيد هذا الحيوان إلى الماء. إلا أن الكاهن أمسك بالحيوان فاستحال بين يديه إلى تمثال من الشمع صغير الحجم. وقص على الملك قصة زوجته مع خادم الملك.

فأمر الملك أن يظل التمساح ممسكا بخادمه وأن يرجعا سويا إلى قاع البركة. وهذا ما حدث واختفى العشيق إلى الأبد.

ثم طلب الملك إحضار زوجة الكاهن وأن تحرق وأن يلقوا برماد جسدها في النيل.

فسر الملك خوفو من هذه القصة وأمر بتقديم قرابين إلى روح

الملك " نب – كا " مكونة من الف رغيف ومائة آنية من الجعة وثورا كاملا وآنيتين مملوءتين بالبخور كما أمر بتقديم رغيف واحد وآنية واحدة من الجعة وآنية واحدة من البخور وقطعة من اللحم إلى روح الكاهن " أويانز ".

***

ثم تقدم ابن آخر وقص عليه قصة حدثت في عصر الملك " سنفرو " الذي شعر هو الآخر في أحد أيام حياته بالضجر. فأمر أتباعه أن يرووا له ما يزيل عن نفسه انقباضها.

فاقترح عليه كبير كهنته أن يأمر بإعداد قارب كبير ليتنزه فيه فوق سطح بحيرة القصر على أن يقوم بالتجديف أجمل نساء قصره.

فأعجبت الفكرة الملك وأمر أن تكون المجاديف من الأبنوس المحلى بالذهب وأن تكون أطرافها رقيقة خفيفة، كما أمر بإحضار عشرين من أجمل بنات القصر ليقمن بنحريك القارب وهن ينشدن أحلى الأغاني.

وفجأة كفت النساء عن الغناء. فاستفسر الملك عن الأمر فقالت له إحدى السيدات:–

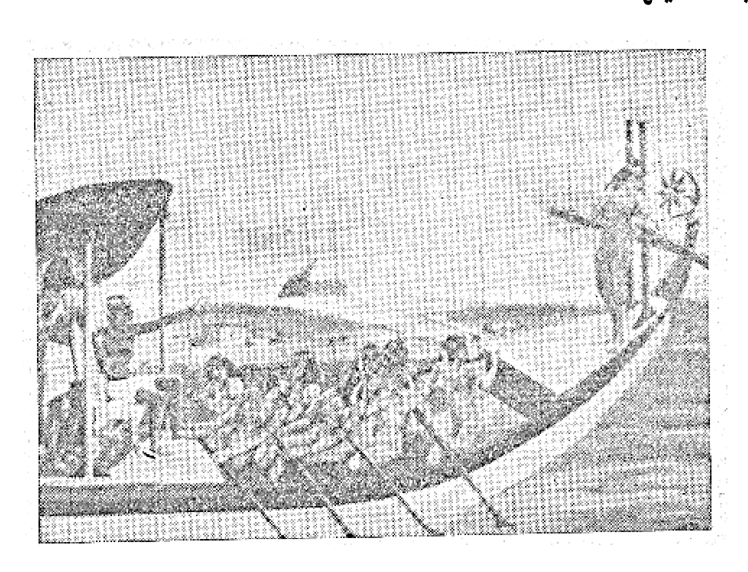
إن رئيستنا قد فقدت حلية سقطت منها في قاع البحيرة.

فأمرها الملك أن تعود إلى غنائها وسوف يعوضها عنها بأحسن منها.

ولكنها رفضت الغناء وقالت:-

" أيها الملك، إن قلبي حزين ولا أريد إلا حليتي كما هي. "

فنادى الملك رئيس كهتنه وأخبره بالحادث. وطلب إليه أن يعيد إلى السيدة حليتها.



رسم تصويري يمثل سنفرو في نزهته وقد كفت إحدى السيدات عن الغناء بعد أن فقدت حليتها التي سقطت منها في الماء

وبالفعل قام هذا الكاهن بقراءة تعويذة سحرية وإذا بالماء ينشق وظهرت الحلية في قاع البحيرة وقد استقرت فوق قطعة من الخزف.

ونزل الكاهن من القارب وأحضر الحلية وسلمها إلى صاحبتها. ثم أعاد الكرة وتمتم بتعويذته فرجع الماء إلى ما كان عليه واستمر الجمع في مرحه. واختتم الملك يومه بالفرح والسرور.

وأعجبت هذه القصة الملك خوفو وقدم القرابين إلى روح أبيه

الملك " سنفرو " كما أمر بتقديم القرابين إلى روح رئيس الكهنة.

***

ثم تقدم الابن الثالث إلى أبيه وقال له:-

إن القصص التي سردت على أسماعكم هي من عصور غابرة ولا ندري مدى صحتها. أما أنا فسوف أقص عليكم قصة ساحر يعيش بيننا في هذه الأيام يدعى " ددي " ويسكن بقاع المستنقعات في شمال الدلتا. عمره مائة سنة وعشرة وهو يأكل يوميا خمسمائة رغيف ونصف ثور ويشرب مائة آنية من الجعة وهو قدير في شئون السحر إذ في استطاعته أن يفصل رأس إنسان أو حيوان عن جسمه ثم يضمهما مرة ثانية فتعود إليه الحياة. وهو أيضا يروض الوحوش فيجعلها مستأنسة، وهو الوحيد بين الناس الذي يعرف بدقة رسوم منزل الإله " تحوت ".

وكان هذا الأمر يهم الملك " خوفو " كثيرا لأنه كان يبحث منذ أمد طويل عن هذه الرسوم لكي يستغلها في بناء أفقه (هرمه).

وأمر الملك أن يحضر إليه " ددي " على وجه السرعة. وطلب إلى ابنه واسمه " ددف – حور " أن يستقل سفينة ويذهب لإحضار هذا الساحر.

وأبحر الأمير إلى الشمال حتى وصل إلى مكان هذا الرجل ثم سار في محفته المصنوعة من الأبنوس إلى مسكن الساحر. فوجده راقدا فوق حصير أمام باب منزله وقد إسلم قدميه إلى كاهن ليدلكهما.

وبعد أن تبادلا التحية وتحدث " ددي " عن حالة الإنسان في سن الكهولة فاتحه الأمير في أمر المهمة التي أتى من أجلها وقال:-

" لقد أتيت إلى هنا في مهمة لأبي " خوفو ". ولأدعوك لتأكل من أطيب ما يعطيه لك الملك. ومن طعام حاشيته. حتى يجعلك تصل بعد حياة جميلة إلى آبائك الذين يقيمون الآن في مدينة الأموات. "

فحياه " ددي " قائلا:-

" أهلا ! أهلا ! بـ " ددف - حور " بن الملك الذي يحبه " أبوه. إني طوع أمرك. "

ثم مد الأمير يده إليه وساعده على الوقوف ومشى معه حتى الشاطئ مادا بذراعه إليه (أي معتمدا عليه).

وطلب " ددي " أن يسمح له بقارب لينقل فيه كتبه المتعددة وأولاده الكثيرين.

فنفذت مشيئته وأبحر إلى الجنوب ووصل هذا المركب إلى العاصمة.

وعندما وصل الأمير " ددف - حور " إلى البلاط دخل على أبيه الملك " خوفو " مسرعا لينبئه بحضور الساحر وقال:-

" سيدي الملك. لقد أحضرت ددي. "

فقال الملك:-

" أسرِع وأدخله عليَ "

وذهب الملك إلى بهو الأعمدة بالقصر حيث أدخلوا عليه ددي هذا

ووجه الملك حديثه إليه قائلا:–

"كيف هذا يا " ددي ".

" إني لم أرك إلى الآن. "

فقال ددي:–

" من يدع يجب.

قد دعاني الملك وها قد أتيت. "

فقال الملك:–

" أحقا ما يرويه الناس عنك من أنه في وسعك إعادة الرأس المقطوع إلى الجسد فتدب فيه الحياة مرة ثانية؟ "

فقال " ددي ":–

" نعم يا سيدي الملك. أنني أستطيع ذلك. "

فقال الملك:–

" أحضروا لي أسيرا من السجن ليثبت فيه دعواه "

فقال " ددي ":–

" أرجو ألا يكون هذا في إنسان.

إننا لا نصنع هذا مع حيوان ممتاز.

فليأمر الملك بتجربة ذلك في شئ آخر. "

* * * * * * * *

فجئ له بأوزة. وفصل عنها رأسها. ووضع جسدها في الجانب الغربي من البهو ووضع رأسها في الجانب الشرقي منه. وتلا " ددي " تعويذة سحرية. فوقفت الأوزة وتحركت. وكذلك فعل الرأس. ولما بلغ كل منهما الآخر التصقا وعادت الحياة إلى الأوزة وأخذت تصيح.

بعد ذلك أمر الملك بإحضار عجل (ثور) فصل رأسه عن جسده. ثم قرأ " ددي " تعويذته السحرية فوقف الثور بعد أن عادت إليه الحياة.

وهكذا أتى " ددي " بكثير من المدهشات مما جعل الملك يثق في حكمته. فسأله بصراحة عن ذلك الأمر الذي كان يهمه أكثر من كل شئ، أي عن أسرار معبد إله الحكمة " تحوت "

فقال ددي إنه لا يعرف هذا السر ولكنه يعرف أين هو.

فأمره الملك أن يطلعه على مكانه.

فقال له الحكيم ددي:-

إن هذه الرسومات موجوده في صندوق موضوع في مكان ما في معبد هليوبوليس. ولكني لن أستطيع إحضاره إليك.

فقال الملك:-

" ومن ذا الذي يحضره إليَ؟ "

فأجاب ددي:-

" يحضره إليك أكبر الأطفال الثلاثة الذين سوف تلدهم السيدة (رد - ددت). "

فسأل الملك متعجبا:-

" ومن تكون هذه السيدة رد - ددت؟

فأجاب ددي:-

" هي زوجة أحد كهنة الإله " رِع " في (سخبو)

وهي تحمل من " رِع " معبود " سخبو " ثلاثة أولاد.

وقد قال لها إنهم سوف يضطلعون بهذا المنصب الجليل.

وسوف يحكمون البلاد بأسرها.

وسيكون أكبرهم كبيرا لكهنة هليوبوليس. "

فحزن الملك من أجل ذلك كثيرا. وكيف لا يحزن وقد أدرك جيدا ما يعنيه هذا الحكيم. فقد تكهن له بقرب ولادة ثلاثة أطفال من سلالة جديدة أنشأها الإله " رِع " من صلبه، مختارا زوجة أحد كهنته لتحل محل سلالة " خوفو " على عرش مصر.

وعندما رأى " ددي " جزع الملك قال له:-

" لا تخف مما قلت.

" إن ابنك سيحكم

وابن ابنك سيحكم قبل أن تلد " رد - ددت " أولادها

وقبل أن يعتلي هؤلاء الأطفال عرش مصر. "

فأعلن " خوفو " رضاءه عن الحكيم ددي كما أعلن أنه سيزور معبد " رع " عندما تهبط مياه النيل، ثم أجزل العطاء لددي وسمح له بأن يقيم مدى حياته في قصر " ددف - حور " على أن تقدم له الألف رغيف والمائة آنية من الجعة وثورا كاملا ومائة حزمة من البصل كل يوم.

وعندما أوشكت السيدة رد - ددت أن تلد أبناءها الثلاثة أحضر الإله " رع " كلا من الإلهات إيزيس ونفتيس ومسخنت وحكات وكذلك الإله " خنوم " وقال للإلهات:-

" اذهبن وساعدن " رد - ددت " على وضع أولادها الثلاثة الذين سيتولون هذا المنصب الجديد في هذه البلاد بأسرها.

" ليبنوا لكن المعابد.

" ويعنوا بمذابحكن.

" ويكثروا من تقديم الشراب على موائدكن.

" ويقفوا الأراضي لقرابينكن. "

وأطاعت الإلهات أمره واتخذن صورا بشرية وذهبن إلى دار السيدة أما " خنوم " فقد تبعهن كحمال (خادم يحمل المتاع).

ثم قدمن أنفسهن كنساء مجربات يحذقن عملية التوليد.

فسر الكاهن الذي كان مهموما من أجل زوجته وأدخلهن الدار وأغلق وراءهن الباب.

وبدأن عملهن. وأخرجن إلى الدنيا ثلاثة أطفال طول كل طفل منهم ذراعا. وكل واحد منهم ذو عظام قوية.

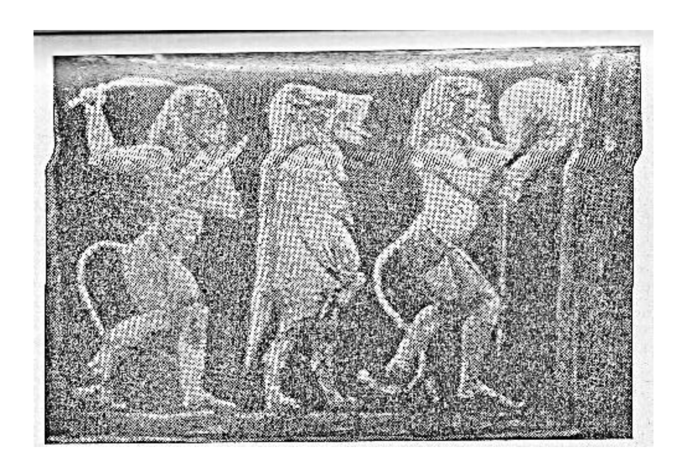
وتولت " إيزيس " منح كل طفل اسمه في حين تنبأت " مسخنت " لكل طفل أنه سيكون ملك البلاد بأسرها.

وعندما تركت الإلهات الدار وأنبأن زوج رد – ددت بولادة الأبناء الثلاثة، شكرهن وأهداهن قمحا تقبلنه راضيات وقد حمله " خنوم " على ظهره. وكان يقوم بدور الخادم لهن. وانصرفن إلى المكان الذي أتين منه.

وقالت " إيزيس " أثناء سيرهن:–

" أما كان من الأليق والأفضل أن نقدم معجزة إلى هؤلاء الأطفال الثلاثة؟. "

فوافقت الإلهات الأخرى على كلامها وصغن بعد هذه الملاحظة ثلاثة تيجان ملكية، وضعنها في القمح الذي أخذنه كأجر لعملهن، ثم أثرن عاصفة شديدة جعلنها حجة لرجوعهن



الإلهة " توريس " في الوسط تدخل قاعة الولادة يصاحبها كاهنان وقد تزيا بزي الإله " بس ". والجميع يغنون.

إلى منزل الكاهن ليرجونه أن يبقى القمح في حجرة مقفلة حتى يعدن لأخذه.

وبعد أربعة عشر يوما، وعندما بدأت رد – ددت تعني بشأن دارها من جديد علمت أن الدار خالية من القمح فأمرت خادمتها بأن تجلب لها شيئا مما تركته السيدات الأجنبيات على أن يعوضهن زوجها عنه.

غير أن الخادمة ما كادت تفتح الحجزة وتدخلها حتى سمعت فيها أصوات غناء وموسيقى ورقص وغير ذلك مما يحدث في قصر الملك.

فأسرعت إلى سيدتها وأخبرتها بما رأت وسمعت وهرولت رد – ددت إلى الحجرة حيث سمعت بنفسها ما تحدثت به الخادمة غير أنها لم تستطع التعرف على المكان الذي تصدر منه تلك الأصوات وفي آخر الأمر عرفت أنها تخرج من بين القمح الذي أوصت بحفظه السيدات الأجنبيات.

فقامت رد – ددت بوضع هذا القمح وما فيه في صندوق خشبي وضعته هو الآخر في صندوق كبير وربطته بسيور من الجلد ووضعته في حجرة أغلقتها. وختمتها بخاتمها الخاص مبالغة في الحرص.

وعندما رجع زوجها اخبرته بكل ما حدث.

وبعد بضعة أيام أتت الخادمة أمرا دعا سيدتها إلى تأنيبها ومعاقبتها ولكن الخادمة في ثورة غضبها قالت لرد – ددت:–

" لماذا تصنعين هذا معي؟

" سأذهب إلى الملك " خوفو " وأخبره بأن أولادك الثلاثة " سيصبحون ملوكا على مصر. "

وفرت الخادمة إلى عمها وقصت عليه قصتها. إلا أنه غضب منها وضربها وزجرها حتى لا تتحدث بهذا الكلام.

وذهبت الخادمة إلى الشاطئ النهر لترتوي من مائه وتغتسل لعلها تستعيد شيئا من نشاطها. ولكنها ما كادت تقرب النهر حتى خرج عليها تمساح كبير وسحبها إلى قاع النهر.

ثم ذهب عمها وقدم نفسه إلى السيدة رد – ددت وقد وجدها في حالة من الحزن والقنوط بسبب ما حدث. وسألها ما خطبها، ولم كان حزنها؟

فأجابته بأنها تخشى الوشاية من خادمتها.

فأجاب الرجل:–

" لا تخشى شيئا فقد خطفها تمساح كبير واختفى. "

***

وهنا ينتهي النص لا لأن القصة قد انتهت بل لأن البردية تآكلت وتهشمت. ومما يؤسف له أن المؤرخ لا يستطيع التعرف على هذه الخاتمة التي ربما كانت تنبئنا بما سوف تقوله السيدة رد – ددت إلى عم الخادمة وما سوف ينتهي إليه الأمر.

***

وتعليقنا على ما جاء في القصة من أن الأولاد الثلاثة قد ولدوا في عصر خوفو بينما الساحر " ددي " قد أكد للملك أنهم سيولدون بعد انتهاء حكم حفيده، هو أن الكاتب قد أشكل عليه الأمر ولم يكن يقظا عند ذكر حوادث قصته. وعلى كل حال فهذه الأسطورة اعتبرت نموذجا يجب على كل طالب علم بين المصريين القدماء أن يتقن كتابتها ويتعرف محتوياتها.

والنص الذي وصل إلينا نؤرخه من عصر الدولة الوسطى. ولعل مرور بضع مئات من السنين كان السبب في عدم تعلق الكاتب بالمحافظة على الأمانة في سرد قصته.

أسطورة حاتشبسوت ونسبتها إلى الإله " آمون "

تعتبر الأسرة الثامنة عشر بمثابة أزهى عصور الدولة الحديثة لأن الانتصار الكاسح الذي أحرزه أحمس الأول في كفاحه مع الهكسوس ومطاردته لهم فيما وراء الحدود المصرية يعتبر الأساس الأول للامبراطورية المصرية.

وبدأ المصريون يتعرفون على حضارات الأقطار المجاورة في الشمال الشرقي لمصر وفي جنوبها.

وخلف أحمس الأول ابنه أمنحوتب الأول على العرش ثم تمكن رجل لا يمت بصلة النسب إلى العائلة المالكة أن يتولى عرش مصر بعد أن تزوج من إحدى أميرات البيت المالك. هذا الرجل هو تحوتمس الأول الذي اشتهر بالكفاءة وقوة العزيمة وتمكن من أن يوطد أركان الإمبراطورية التي كونها أحمس الأول وأن يوسع رقعتها. إلا أن هذا الرجل لم يكن سعيدا في أواخر أيامه إذ حدثت مشكلة كبرى لتوريث العرش.

فعندما بدأ الضعف يدب في أعضاء هذا الرجل العظيم رأى أن يمنح العرش لابنه تحوتمس الثاني بعد أن زوجه من ابنته الكبرى حاتشبسوت. ولكن هذا الابن لم ينعم بالملك طويلا وأدركته المنية بعد فترة قصيرة.

فأراد الأب أن يتولى العرش في مصر أحد أبنائه غير الشرعيين بعد

تزويجه من ابنته حاتشبسوت. ولم يستطع ذلك إلا بعد أن استعان بكهنة " آمون " وخرجوا على الناس بنبوءة كشف عنها الإله تهدف إلى اختيار الشاب الصغير تحوتمس الثالث ملكا على مصر.

وبعد فترة قصيرة مات الملك العجوز تحوتمس الأول وأسدل الستار على هذه النبوءة الإلهية.

أما حاتشبسوت التي كانت تتمتع بشباب غض وجمال فائق وذكاء خارق وأطماع لا حد لها فأرادت أن تستقل بالحكم وأن تتخلص من زوجها بطريقة شرعية.

فطلبت إلى الكهنة (أي كهنة الإله آمون) ان يبادروا إلى مساعدتها في تنفيذ خطتها. وما كان أسرعهم إلى تنفيذ أوامرها.

فخرجوا على الناس بالأسطورة التالية وهي منقوشة على جدران معبد الملكة بالدير البحري بالأقصر:-

ذات يوم جمع ملك الآلهة " آمون - رع " بعضا من رفقائه وأعلن لهم رغبته في أن يخلق ابنة لتحكم مصر وأنه يود أن تولد هذه الابنة من امرأة من البشر.

فتقدم " تحوت " الإله العظيم الذي يعرف كل شئ وقال:-

" إن هناك امرأة واحدة لا مثيل لها لهذه المهمة. إنها " أحمس " ملكة القطرين. زوجة تحوتمس (الأول). وأنصح ملك الآلهة أن ينتهز فرصة سفر زوجها لزيارتها. "

ونفذ " تحوت " الخطة واصطحب " آمون " إلى قصر تحوتمس الأول واتخذ الإله شكل الزوج ودخل مخدع الملكة فوجدها مضطجعة على سريرها بجمالها الزاهي ونبه عبيق الإله – الذي ملأ جنبات المخدع – الملكة.

فسارع إليها الإله وكشف لها عن شخصيته وأخبرها بما وطد العزم عليه. وذهلت الملكة من جمال الإله وطغت عليها موجة من السعادة لا حد لها، وتملكها حب الإله. وصاحت تقول:–

" ما أعظمك !

" ما أجمل أن أستملى وجهك !

" وما أحلى أن تضمني إليك ! "

فقال الإله للملكة:–

" اخترت لابنتي منك اسم حاتشبسوت وقررت لها أن تحمل عبء الملك في هذه البلاد. "

" أنها من روحي وتيجاني لها.

" وسوف تصبح ملكة القطرين وسوف تقود الرجال في هذه البلاد. "

واستدعى " آمون " على عجل الإله " خنوم " صانع البشر والذي يشكل أجسامهم من الطين فوق عجلة الفخاري وقال له:

" لتصنع ابنتي هذه وقرينتها من أعضائي هذه.

" ولتشكلها بجمال لا مثيل له بين الآلهة.

" اصنع لي ابنتي هذه التي أنجبتها.

" لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة.

" سأمنحها كل شئ لتصبح مثل " رع " الأبدي. "

فأجاب على ذلك " خنوم " بما يأتي:-

" سأصنع لك ابنة اسمها حاتشبسوت لها الحياة والصحة والسعادة. "

" سوف يفوق جمالها جميع الآلهة حتى يتفق مع مكانتها كملك لمصر العليا ومصر السفلى. "

***

وجلس خنوم " على عجلة الفخاري وبدأ يشكل جسمي حاتشبسوت وقرينتها (كا) وأخذ يبتهل طوال هذه العملية بدعوات طيبات قائلا:-

" هنيئا لك. لقد قمت بتشكيل جسمك من أعضاء آمون. "

" طوبى لك فإني شكلتك لتكوني أجمل من أي إله آخر.

" سأعطيك الحياة كلها ومعها السعادة والقوة والحظ.

" سأعطيك الصحة بأكملها.

" سأعطيك كل البلاد والشعوب.

" سأهبك كل ما لذ وطاب من المآكل والمشارب حتى

" تصبحي أهلا للجلوس على عرش " حوريس " مثل " رع "

" إلى الأبد.

" سوف تفوق قرينتك كل ما للبشر من قرائن (جمع قرينة)

" وهكذا ستضيئين كملك لمصر العليا ومصر السفلى.

" وكسيدة للجنوب والشمال.

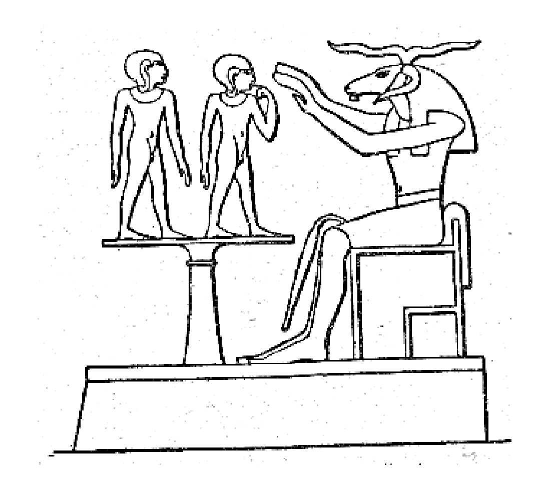
" لا غرو فإن هذه هي أوامر والدك الذي يحبك. "

ويرى المدقق أن المناظر – التي قام بنقشها فنانو هذه الملكة فوق جدران معبدها بالأقصر والمعروف باسم الدير البحري – تمثل الملكة آحمس (الوالدة) وقد جلست قبالة ملك الآلهة " آمون " على عرش طويل يشبه في شكله ما اعتاد المصري أن يمثل به شكل السماء وقد ارتفع هذا العرش فوق أيدي إلهتين جلستا فوق أريكة. ويرى الناظر أيضا الإله وهو يقدم رمز الحياة إلى الملكة الوالدة. ويجدر بنا هنا أن نشهد ببراعة الفنان الذي تمكن أن ينسج ستارا من الوقار والعظمة حول هذا المنظر.

ومن ثم نرى الملكة آحمس يحييها الإله " تحوت " وقد صاحبته

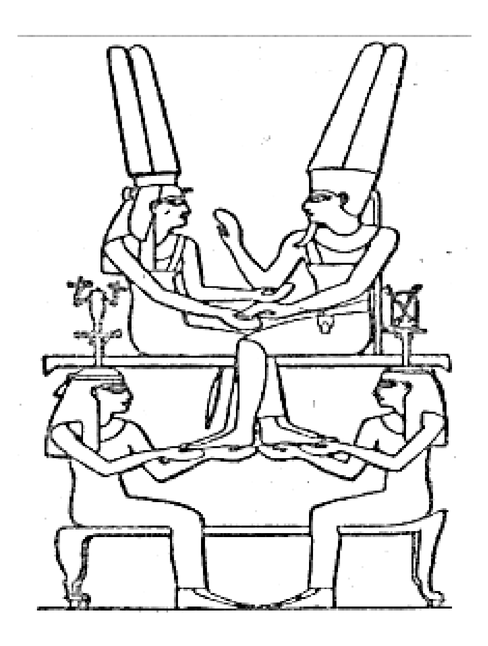
الإلهة " حكت " التي تقوم بعملية الولادة بين الآلهة. ثم يقودانها إلى الحجرة التي سوف تتم فيها الولادة.

ويتبع ذلك منظر آخر نرى فيه الملكة تجلس فوق عرش

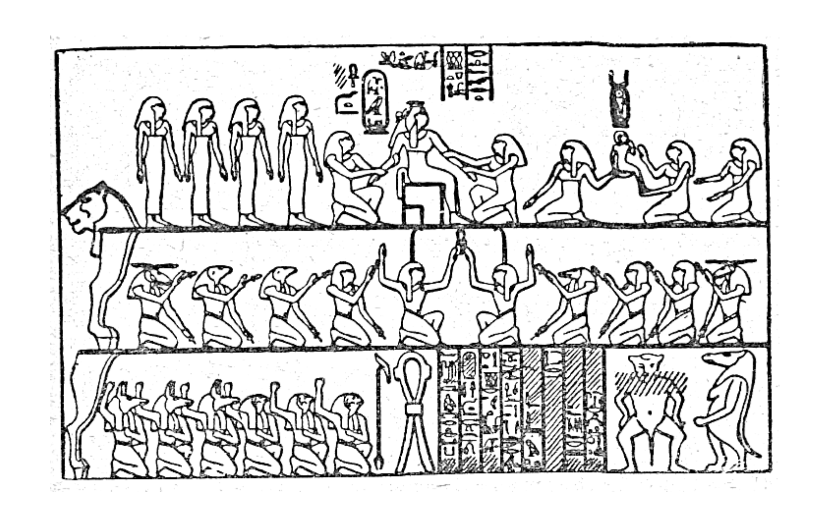


" خنوم " يجلس إلى عجلة الفخاري ويقوم بصنع جسمي حاتشبسوت وقرينتها من الطمي

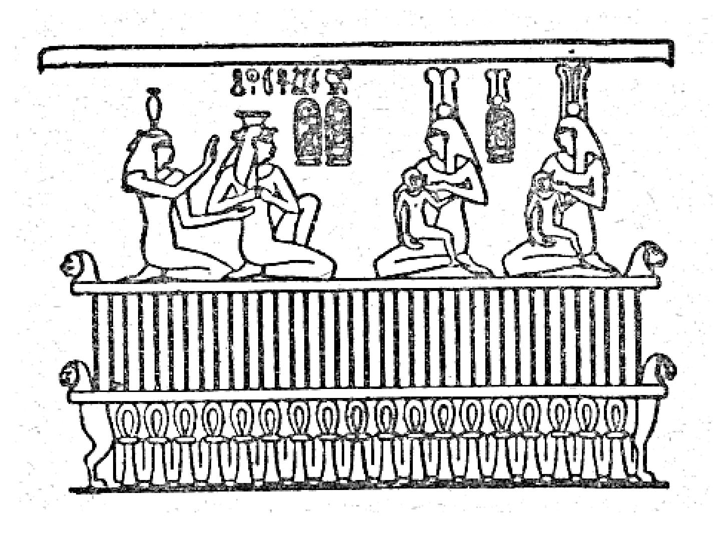
كبير وقد اضطجعت بين حشيات كثيرة محتضنة ابنتها المقدسة التي ولدتها من أبيها " آمون – رع " وقد احتشد المكان بأربع آلهات يقمن على خدمة الطفلة. ثم بعدة آلهة أخرى بين ذكور وإناث وقد أحاطت هذه الآلهة جميعا بها. يتمتم كل منها بما يبتهله لهذه الطفلة من صحة طيبة وسعادة لا مثيل لها، وجبروت وسلطة لا حد لهما.



" آمون " يجلس مع الملكة الوالدة يتناجيان



آحمس وقد أحاطت بها الآلهة والإلهات يقمن على مساعدتها في ولادة ابنتها حاتشبسوت.



الإلهات يرضعن الطفلة حاتشبسوت وقرينتها

بعد ذلك نرى منظرا يبين لنا مثول الآلهة " حاتحور " بين يدي الإله " آمون – رع " تعلن له الخبر السعيد بولادة طفلته.

فيفرح بذلك ويوجه الكلمات الآتية إلى ابنته هذه:–

" أنت يا أعظم جزء مني.

" ستصبحين ملكا على مصر.

" سوف تجلسين على عرش " حوريس " إلى الأبد. "

ثم توجه الإله " آمون – رع " إلى الآلهة الأخرى المجتمعة حولها بالكلمات الآتية:–

" ها هي ابنتي حاتشبسوت معكم.

" لتحيطوها بحبكم وعطفكم. "

فأجابت الآلهة بالكلمات الآتية:-

" هذه هي ابنتك حاتشبسوت التي تحيا.

" سنحيطها بحبنا وعطفنا وستحيا في سلام وهدوء.

" إنها ابنتك التي خلقتها من نفسك.

" إنك أعطيتها روحا من روحك.

" إنك أسبغت عليها قوة سحرية من قوتك.

" لقد امتلكت البلاد وكل ما تظلله السماء بينما كانت في

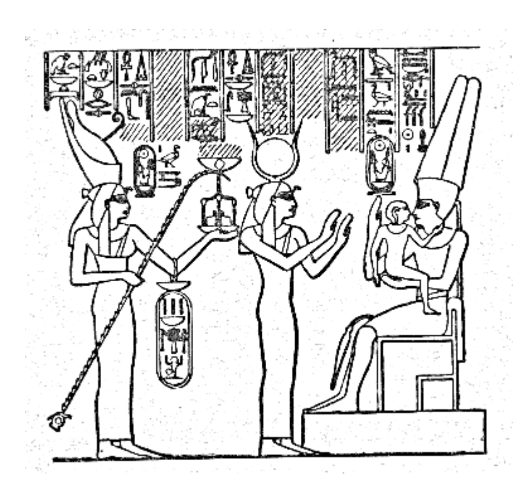
" بطن أمها.

" إنها لصاحبة كل ما تحتويه البحار.

" هذا ما صنعته لها.

" إنك أعطيتها حظ " حوريس " في الحياة.

" لقد وهبتها سنى " ست " في السعادة. "



الإلهة " حاتحور " تقدم الطفلة حاتشبسوت إلى أبيها " آمون – رع "

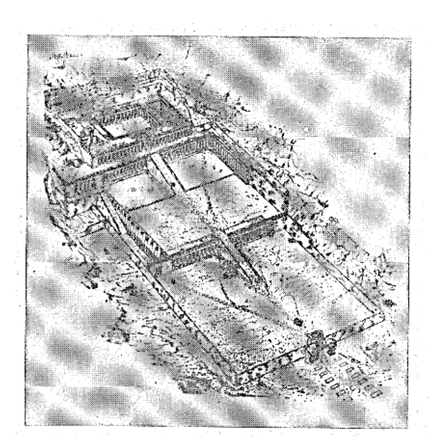
ويذكر التاريخ أن هذه الملكة قد نجحت في مؤامرتها هذه ضد زوجها الملك تحوتمس الثالث وقد كان في ذلك الوقت صبيا لا يزيد سنه على العشر سنوات. وكان نجاحها مؤكدا نظرا لمساعدة كهنة " آمون " لها من ناحية، ولأنها استطاعت من ناحية أخرى، أن تجمع حولها فئة من الرجال عرفوا بحكمتهم واشتهروا بحنكتهم في مختلف ميادين العمل ونخص بالذكر منهم المهندس " سنموت " الذي بز كل الآخرين في تقربه إلى الملكة وإليه يرجع الفضل في بناء معبدها الجميل المعروف باسم معبد الدير البحري، كما أقام لها مسلتين عظيمتين في فترة قصيرة تعتبر مثلا قياسيا، إذ أتم هذا العمل الكبير في مدة سبعة أشهر.

وليس من شك في أن حاتشبسوت نفسها كانت تتميز بالذكاء وحسن الإدارة والتفهم الدقيق لما يجري في البلاد من أحداث ولو إنها لم تجرد حملات حربية لفتوحات جديدة، إلا أنها أرسلت بعثات سلمية لتوطد العلاقات التجارية بين مصر والأمم المتاخمة لها.

وأشهر هذه البعثات هي تلك التي أرسلتها إلى بلاد (بونت) والتي نعتقد بأنها هي بلاد الصومال الحالية. واستطاع رجالها أن يحصلوا من هذه البلاد على كل ثمين وغريب.

وهكذا استمتعت البلاد في عصرها بسلام حقيقي وبرخاء كبير كانا هما الأساس القوي الذي مكن زوجها تحوتمس الثالث من أن يقيم عليه ذلك البناء الضخم، ألا وهو الإمبراطورية المتسعة الأرجاء التي امتدت حدودها شمالا حتى أعالي الفرات وبلاد الحيثيين. وجنوبا إلى ما وراء الشلال الرابع.

وكانت حاتشبسوت في حياتها عظيمة قوية بحيث أنها حافظت على ما ادعاه كهنة " آمون – رع " من أنها ابنة الإله " آمون " من صلبه.



معبد حاتشبسوت الذي يعتبر تحفة فنية من ناحية هندسته المعمارية وروعة نقوشه. وهو المشهور باسم (معبد الدير البحري) ويقع على الشاطئ الغربي للنيل بطيبة (الأقصر).

أسطورة " إيبو - ور "

لقد سبق الحديث عما وصلت إليه الدولة القديمة من تقدم سريع في شتى مرافقها المادية والمعنوية. ولقد عاش شعب مصر طوال هذا العهد في سلام ووئام لم يعهدهما في العصور اللاحقة. فلم يحدث أن شعر بالخطر الخارجي ولم يدبر شؤونه على أساس سياسة خارجية واسعة المدى.

ومن أجل هذا طبع هذا العصر بطابع خاص يقوم على شعور المصري بطمأنينة واستقرار داخلي جعلاه ينحو نحو المادية في كل شئ.

إن الشعور المصري بقوته واستقراره وبعدم وجود أخطار يمكن أن تداهمه من الخارج جعله لا يفكر إلا في إسعاد نفسه ولا يركن إلا للماديات الواقعية.

ولنعطي لذلك مثلا. فإن المصري في عصر الدولة القديمة كان لا يفهم أن الحياة الثانية ميسورة إلا إذا استعد لها بإقامة مقبرة ضخمة يزودها بكل ما يحتاج إليه البشر من مأكل ومشرب وملبس فعلي. وكانت السعادة في الحياة الثانية بمثابة سلعة يشتريها القادر على دفع ثمنها. وكان الثمن هو رضاء الملك من ناحية وتكديس القرابين في المقبرة من ناحية أخرى.

لقد فهم المصري هذا واعتقد أن الآلهة أنفسهم قد قرروا مصيره

على هذا الأساس البسيط وهو:-

أن السعادة والحظ لا ينالهما الإنسان إلا حسبما تملكه يداه. فمن كان غنيا ومن عظم قدره بين الناس بقى طوال حياته الثانية متمتعا بما حظى به في حياته الأولى.

وقام المجتمع المصري على أساس هذه الفكرة كما قام أيضا على عقيدة جعلت الفرعون المصري هو محور كل نشاط وصاحب السيطرة في مصر.

ولم تسجل الأحداث في مصر طوال عصر الدولة القديمة ما يدعو إلى زعزعة هذه العقيدة. حتى أتى عصر الملك ييبي الثاني أحد ملوك الأسرة السادسة الذي تولى العرش وعمره ست سنوات، ومات وقد قارب المائة.

وليس من شك أن مثل هذا الحكم الطويل لملك واحد يحمل بين طياته التفكك والانحلال. ولسنا ندري هل السبب في تدهور السلطة المركزية في البلاد يرجع إلى ما كان يسودها من سخط وفزع ابتداء من عصر الأسرة السادسة، أم يرجع إلى ما يرتكبه ملك ضعيف مسن من حماقات؟

وعلى كل حال، فإن الثابت من التاريخ أن مصر قد ترنحت وسقطت في هوة عميقة من الاضمحلال والانحلال بعد موت ييبي الثاني هذا مباشرة (أي حوالي ٢١٨٠ ق. م). ويطلق المؤرخون على العصر التالي اسم (عصر الاضمحلال الأول).

لقد انهار صرح الملكية في مصر وتفككت عرى الوحدة في البلاد. وتلاشت القوة المركزية. وأخذ كل حاكم لأقليم يحتفظ لنفسه بإقليمه يورثه لأولاده.

وانتهز الشعب هذه الفرصة وحاول جهد استطاعته أن يتحرر من ذلك الغول القوي الجاثم فوق صدره. فقال بثورة جامحة كانت ككل الثورات في كافة العهود، لا رابط لها كالنار تأكل كل ما تلقاه. فإن لم تجد شيئا أكلت نفسها...

وهكذا رزحت البلاد تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب فزالت قدسية الفراعين واختفت معالم الحضارة المزدهرة. وخبت نار التقوى والخشوع للآلهة. وانهار صرح التقاليد. وساد الخوف وعم البؤس والفقر والجوع. وسيطرت مظاهر الاضطراب على كل شئ في الحياة.

ومن الغريب حقا أن يضمحل كل شئ في مصر ولا يزدهر فيها إلا الأدب. فقد وصلتنا عدة مخطوطات ترجع إلى هذا العصر تحوي روائع أدبية لا مثيل لها بين الأدب المصري القديم.

وأهم هذه المخلفات الأدبية هي قطعة من الأدب التهذيبي لحكيم يدعى " إيبو – ور " وقد وصف حالة البلاد وصفا رائعا وصور البؤس المنتشر فيها تصويرا خالدا، ثم هو يتجه إلى الملك الحاكم ويعنفه، ويرجع هذه الفوضى إلى استهتاره وضعفه وتهالكه على العرش دون أن يرعى شؤون الناس.

وإن الشجاعة التي صاحبت تعبيرات هذه القطعة لمما يثير الدهشة

لصدورها عن مصري قديم يخاطب فرعون قائلا:-

" إن ندماءك قد كذبوا عليك....

" البلاد تشتعل والناس على شفا الهلاك....

" هذه السنوات كلها سنى حرب وبلاء... "

***

وفيما يلي ترجمة لهذه القطعة الأدبية:-

" ما هذا الذي حدث في مصر...؟

" إن النيل لا يزال يأتي بفيضانه.

" وليس هناك من يقوم بحرث حقله.

" إن كل إنسان يقول: إننا لا ندري ما سيحدث في البلاد

" لماذا حقا أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز؟...

" إن من كان لا يمتلك نعلا أضحى الآن من الأثرياء

" لماذا حقا أصبح الموتى يدفنون في النهر؟...

" إن النهر أصبح جبانة وجعل الناس منه مكانا للتحنيط.

" لماذا حقا عم الحزن الأشراف....؟

" بينما ساد الفرح والسرور الفقراء.

" لقد أصبح حديث الناس في كل مدينة يهدف إلى أن

" يقتل بعضهم بعضا.

" لماذا حقا انتشرت القذارة في البلاد...؟

" لم يعد لمصري ثوب أبيض اللون في هذه الأيام.

" لماذا حقا انقلبت البلاد رأسا على عقب...؟ كما لو

" كانت موضوعة على عجلة الفخاري.

" أصبح اللص الآن من أصحاب الثروات.

" لماذا حقا تختفي التماسيح بما تحمل في أفواهها...؟

" لماذا حقا انتشرت الصحاري في البلاد؟...

" إن الأقاليم قد دهمها الدمار.

" انتشر الأجانب المتبربرون في مصر.

" اختفى أثر الرجال من البلاد.

" لماذا حقا قد اختفى الضحك من البلاد...؟

" لقد حل محله العويل وامتزج بالولولة.

" لماذا حقا أصبح الناس يحطمون أولاد الأشراف على الجدران؟

" إن أولئك الأطفال الذين كان الناس يتضرعون إليهم

" أصبحوا الآن يتركون على قارعة الطريق.

" لماذا حقا أخذت الخادمات يثرثرن بألسنتهم...؟

" وإذا نبهتهن سيداتهن إلى ذلك تململن مستهزئات ضجرات

" لماذا حقا أصبحت الطرقات غير محروسة...؟

" يقبع الإنسان بين الاعشاب ليداهم المسافر بالليل.

" يسلبه متاعه ويسرق ما عليه من ثياب.

" ثم يضربه بالعصا حتى يفارق الحياة.

" هل لحياة الإنسان أن تنتهي؟

" وينعدم النسل وتبيد الذراري؟

" وتسكن الأرض وتنتهي المنازعات؟

" لماذا حقا قد اندثرت الحبوب من كل مكان؟

" وأصبح كل إنسان يقول إن كل شئ قد اختفى.

" نهبت محتويات كل شونة.

" وألقى بحارسها فوق الأرض.

" يا ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت.

" فلعلني كنت جنبت نفسي ما أنا فيه الآن من شقاء.

" لماذا حقا قد ضرب بقوانين البلاد عرض الحائط؟

" وأخذ الناس يطأونها بأقدامهم.

وجمهرة الشعب تمزقها بيديها.

" انظروا كيف غدت نساء الأشراف متسولات.

" وكيف اشتغل الكبراء في المصانع.

" ومن لم يكن يمتلك خرقة ينام عليها.

" أصبح اليوم وهو صاحب سرير.

" انظروا... إن أولئك الذين كانوا يرفلون في الثياب

" أصبحوا في أسمال بالية.

" بينما ذلك الذي لم يحز ثوبا واحدا.

" أصبح الآن صاحب أفخر الثياب.

" انظروا... إن ذلك الأصلع الذي لم يكن لديه شئ

" من الزيت أصبح الآن يمتلك القدور الملأى بالطيب والمر.

***

" انظروا... إن تلك المرأة التي لم يكن لديها علبة صغيرة

" أصبح لها الآن صندوق كبير.

" وتلك التي كانت تنظر إلى صفحة الماء لترى وجهها

" أصبحت تملك الآن مرآة.

" انظروا... كيف أصبحت الفطعان تسير على غير هدى

" لا يحرسها ولا يقودها إنسان.

" يأخذ كل من يريد منها ما يشاء ويدمغه باسمه.

" انظروا... أن من كان يقضي الليل يلهث من العطش.

" أصبح الآن قادرا على تعاطي الجعة القوية.

" ومن كان يفتقد الرغيف.

" أصبح الآن يمتلك مخزنا للغلال.

" انظروا... أن من كان لا يمتلك ثورا

" أصبح الآن من أصحاب القطعان. "

***

وبعد ذلك يأخذ هذا الحكيم يذكر الناس بالعهود الغابرة حين كان السلام يسود مصر والفرح والهناء يرفان على الناس فيقول:-

" تذكر كيف كانت الأعلام ترفع.

" وكيف كانت اللوحات تنقش.

" وكيف كان الكاهن يطهر جنبات المعبد.

" وكيف كان منزل الإله يدهن باللون الأبيض.

" وكيف كان عبيق البخور يملأ الجو.

" وكيف كانت المذابح تعج بما يوضع فوقها من قرابين. "

ويستمر " إيبو – ور " في سرد محاسن الماضي ومباهجه إلى أن

يصل إلى ما كان يقصده فعلا من توجيه النذر إلى الملك نفسه فيقول:

" لديك الحكمة والبصيرة والعدالة.

" ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد.

" وكذلك ضوضاء المتقاتلين.

" انظر... ألا ترى كيف يضرب الواحد الآخر.

" وكيف تمتهن أوامرك.

" إذا سار ثلاثة من الرجال في طريق أصبحوا اثنين.

" إن الكثرة من الناس تقتل.

" هل هناك راع يحب الموت؟

" هل لك أن تأمر حتى يأتيك من يحدثك بالحقيقة.

" لقد كذب ندماؤك عليك.

" فالبلاد أتون مشتعل.

" والناس على شفا الهلاك.

" هذه السنوات كلها سنوات حرب وخراب.

" الحقيقة أنك أوصلت البلاد إلى هذا الدمار.

" والحقيقة أنك تتفوه كذبا. "

قصة " آتون " إله التوحيد

لقد ذكرت في مقدمة هذا الكتيب مدى ما وصل إليه تعدد الآلهة عند المصريين القدماء. إلا أن التقدم الذي سار فيه الشعب المصري خلال القرون جعله يفكر في إدماج الآلهة بعضها في البعض الآخر.

ففي الدولة الحديثة كان الإله الاكبر هو " آمون " إله طيبة وملك الآلهة. واندمج فيه معظم الآلهة القوية في مصر وعلى رأسهم إله الشمس " رع ". وعلى ذلك فإن آمون وحوريس وخنوم وآتوم كل هذه الآلهة صارت تعتبر في الدولة الحديثة إلها واحدا.

ومع ذلك فإن وجود المعابد المختلفة لكل من هذه الآلهة يجعلنا نعتقد أن فكرة التوحيد بينها لم تكن إلا أقوالا شعرية جوفاء وغير ذلك فإن كهنة آمون قاوموا – بطبيعة الحال – هذه النظريات التوحيدية المضادة لتعدد الآلهة في الدولة الحديثة لأنهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء وخشوا أن تطيح هذه النظريات بثرائهم الطائل.

ويذكر التاريخ محاولة وحيدة عملية للقضاء على تعدد الآلهة قام بهذه المحاولة ابن أمنحوتب الثالث آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام وهو المشهور باسم " أخناتون ".

ولقد انطوت محاولة هذا الملك على استبدال جميع آلهة العصور السابقة بإله واحد سماه " آتون الحي العظيم ".

ولعل القارئ يود أن يعرف شيئا عن تاريخ هذا الإله وفي الواقع لم يذكر هذا الاسم بين الآلهة المصرية إلا مرات معدودات على أنه إله محلي ضئيل الشأن عبد في عصر الدولة الوسطى (حوالي ٢٠٠٠ ق. م) في قرية صغيرة من القرى المجاورة لمدينة هليوبوليس وبقى مهملا لا نعرف عنه شيئا حتى جاء هذا الملك المتحمس ورفع من شأنه وجعل من عقيدته دينا رسميا للبلاد.

ويجدر بنا هنا أن نقول بأن الملك تحوتمس الرابع (ثامن ملوك الأسرة الثامنة عشر) كان أول ملك جاهر بالتعبد إلى صورة من صور هذا الإله. ثم جاء بعده الملك امنحوتب الثالث وبنى بعض المعابد لهذا الإله في طيبة ومنف.

ويبدو أن هذا الملك الأخير كان مدفوعا بحب زوجته " تي " المشهورة، التي سلبت لبه بجمالها. واحتفل بزواجه منها احتفالا لم يذكره التاريخ لأي ملك آخر. وجعل منها الزوجة الملكية الأولى برغم أنها لم تكن من سلالة ملكية.

وعندما تولى أمنحوتب الرابع بن أمنحوتب الثالث من زوجته " تي " العرش لقب نفسه كبير كهنة (" رع – حور – آختي "، المبتهج في جبله المضئ واسمه " شو " الذي هو اسم " آتون ")

ومعنى هذا أن الملك إخناتون قد رأى في هذا الإله صورة معنوية غير مجسدة تسكن الجبل المضئ (بمعنى الأفق).

وفي أوائل أيام حكمه كان هذا الملك يتعبد إلى كل من الإلهين "

آمون " و " آتون ". عبد الاول بصفنه ملكا على مصر وتعبد إلى الثاني بصفته الشخصية.

ويظهر من بعض الوقائع التاريخية أن كهنة " آمون " عز عليهم أن يستمر هذا الملك الشاب الضئيل الجسم المريض – الذي يكاد يبدو كما لو كان معتوها – في التقرب إلى ذلك الإله الدخيل " آتون " فأخذوا يحيكون حوله المؤامرات بل حاولوا عدة مرات اغتياله – فأدى هذا إلى نتيجة لم يكن يتوقعها كهنة " آمون " إذ شن عليهم إخناتون حربا شعواء لا هوادة فيها. وتعقبهم وشتت شملهم وصب جام غضبه على الإله " آمون ".

وقصارى القول أن ثورة الغضب التي اجتاحت إخناتون جعلته يتعقب " آمون " وجميع الآلهة القديمة المندمجة فيه ولا نجد لهذه الثورة مثيلا إلا في تاريخ التعصب. فقد محا رجال الملك أسماء " آمون " وصوره حيثما وجدت. وكان أتباعه يتسللون حتى إلى بطون المقابر ليصبوا غضبهم على الإله البغيض.

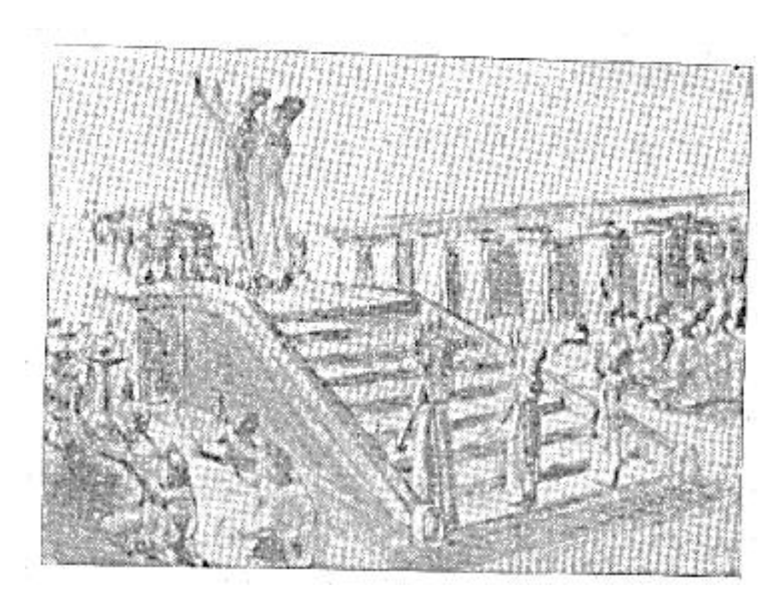
ولا غرابة إذن، إذا كره الملك عاصمة ملكه طيبة مقر عبادة " آمون " وزملائه من الآلهة الأخرى فهجرها وأمر بتشييد عاصمة جديدة لتحل محل مدينة طيبة الدنسة.

***

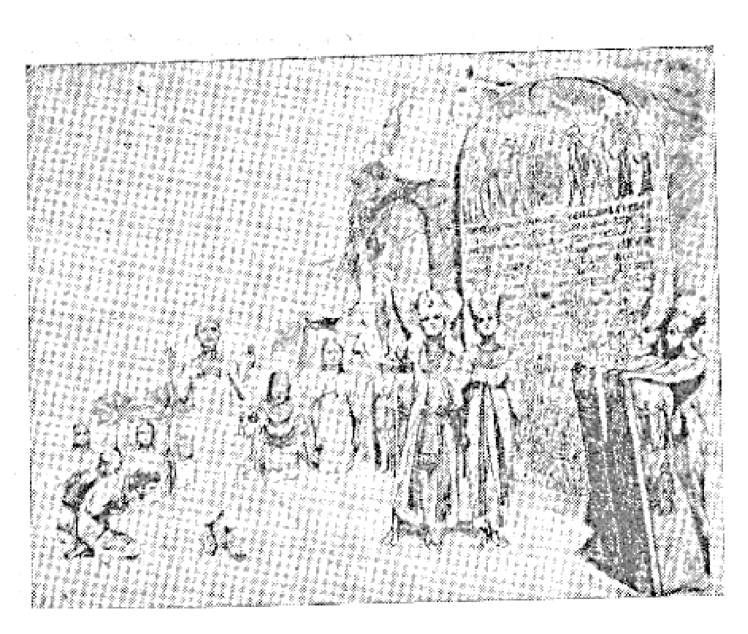
وشيدت مدينة (تل العمارنة) في مصر الوسطى بالقرب من ملوي. ومن هذه المدينة انبثقت أشعة عصر جديد كله مجد وكله فخار.

فهنا نبت الدين الجديد الذي يوحد بين العبادات ويطلب إلى المصريين أن يتعبدوا إلى إله واحد لا شريك له. وهنا أيضا أدخل الملك أساليب جديدة في كل مظهر من مظاهر الحياة في مصر.

وكان الفن من أهم ما تناوله يد التغيير فقد أخذ يرنو إلى تقليد الطبيعة فأصبح فنا واقعيا يستمد مادته مما هو كائن. وبذلك تحرر الفنان من تلك القيود العتيقة الجامدة التي كانت تسيطر على الأسلوب الفني طوال العصور السابقة.



منظر تصويري يمثل إخناتون وزوجته يقدمان القرابين إلى إلههم " أتون " في المعبد ويلاحظ أن المعبد مكشوف وخلو من تماثيل للإله أو أية صورة يرمز بها إليه



منظر تصويري يمثل اخناتون وزوجته يحتفلان بإقامة اللوحات الحجرية التي تبين حدود العاصمة الجديدة (تل العمارنة)

إذن كان للثورة هدفان. الأول إزاحة ذلك الكابوس الذي جثم على صدورهم سنين عديدة من تعدد الآلهة وإقامة الطقوس وتشعبها وتعنت الكهنة. والهدف الثاني كان الجنوح بالفن إلى الناحية الطبيعية البحتة يستلهمها صوره وأخيلته ومعانيه.

وسنحاول هنا أن نثبت ترجمة للأنشودة الكبرى التي دبجها إخناتون لمعبوده الجديد وهي تضفي على هذا المعبود صفات عالمية خليقة بأن يرى فيها كل إنسان – مصريا كان أو أجنبيا – مثله العليا التي يتطلع إليها كل متعبد تقي.

ويجدر بنا هنا أيضا أن نشير إلى تلك المشابهة الكبيرة بين كثير من

فقرات هذه الأنشودة وبين فقرات أحد مزامير داود وهو المزمار رقم ١٠٤، وقد كان هذا التشابه موضع ملاحظة كثير من علماء اللاهوت.

والأنشودة – موضوع الحديث – مأخوذة من مقبرة " آي "



صورة رائعة تمثل نفرتيتي زوجة إخناتون في جلسة عائلية مع أطفالها. ويلاحظ قدرة الفنان المصري على تصوير الحركة عندما حرر الدين الجديد الفن من القيود القديمة.

المنقورة في الصخر بمنطقة تل العمارنة. ولا نشك في أنها كانت تنشد كل صباح عند شروق الشمس ومساء عند غروبها في معبد " آتون " بتل العمارنة.

وها هي ذي ترجمتها:-

" إنك تسطع جميلا في أفق السماء.

" يا " آتون " الحي. يا بدء الحياة.

" إنك إذا أشرقت من جبل النور الشرقي

" ملأت كل بلد بجمالك

" إنك جميل. إنك عظيم.

" إنك تتلألأ عاليا فوق كل بلد.

" إن أشعتك تغمر البلاد وكل شئ خلقته.

" إنك " رع " الذي تأسر كل من رآك.

" إنك الإله الذي دان الجميع بحبك.

" إنك ناء ولكن أشعتك على الأرض.

" إنك قصى ولكن طبعات قدمك على الأرض هي النهار.

" إذا غربت في الأفق الغربي للسماء.

" أظلمت الأرض وأصبحت كأنها ميتة.

" فيستقر الناس في حجراتهم وقد غطوا رؤوسهم.

" لا ترى عين عينا أخرى.

" إذا سلبهم سارق ما تحت رؤوسهم فإنهم لا ينتبهون.

" أما السباع فهي تخرج من جحورها.

" والثعابين تنسل وتلدغ.

" ويخيم السكون على الأرض.

" لأن خالقها قد استراح في أفقه الغربي.

" تضئ الأرض إذا ما أشرقت من أفقك.

" إذا سطعت في النهار ك " آتون " تبدد الظلام.

" إذا أرسلت أشعتك. عم الفرح كلا القطرين.

" واستيقظ الناس وقاموا على أقدامهم.

" لأنك أنت الذي تقيمهم.

" فيغتسلون ويلبسون ملابسهم.

" وترتفع أذرعتهم متعبدين لشروقك.

ثم ينتشرون في الأرض يباشر كل منهم عمله.

" أما الماشية فهي فرحة بمروجها.

" أما الأشجار والنباتات فهي تزدهر.

" أما الطيور فهي ترفرف خارجة من أوكارها.

" تسبح أجنحتها بحمدك.

" وتقفز الحملان على أقدامها.

" وكل مخلوق حي تهتز أعطافه.

" لأنك تشرق من أجله.

***

" وتبحر السفن شمالا وجنوبا.

" وتعج الطرق بالناس.

" لأنك تضئ.

" أما الأسماك في النهر فتتقافز أمامك.

" إن أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر.

" إنك خالق النطفة في الرجال.

" إنك تعطي الحياة للجنين في أحشاء النساء.

" تهب الحركة للوليد في بطن أمه.

" وتسكن من روعه فلا يبكي.

" إنك بمثابة المربية للجنين وهو لا يزال في بطن أمه.

" إنك تهب نسيم الحياة.

" لتحيا به جميع مخلوقاتك.

" إذا خرج الجنين من بطن أمه.

" جعلت من ذلك يوم ولادته.

" ثم تفتح فمه ليتحدث.

" وتدبر ما يحتاج إليه.

" وإذا صاص الفرخ في بيضته.

" فإنك تهبه الهواء لتبقيه حيا.

" ثم تمده بالقوة حتى يثقب بيضته.

" ويخرج منها وهو يصيص بكل ما لديه من قوة.

" ويسعى على قدميه إذا خرج منها.

" ما أكثر مخلوقاتك.

" وما أكثر ما خفي علينا منها.

" أنت يا إله، يا أوحد.

" لقد خلقت الأرض حسبما تهوى أنت وحدك.

" خلقتها ولا شريك لك.

" خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيره وصغيره.

" مع ما يسعى على قدميه فوق الأرض.

" وكل ما يحلق بجناحيه في السماء.

" خلقت بلاد سوريا والنوبة ومصر.

" وأقمت كل إنسان في مكانه.

" ودبرت لكل إنسان ما يحتاج إليه.

" وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة.

" لقد تفرقت ألسنتهم باختلاف لغاتهم.

" كما أختلفت أشكالهم وألوان أجسادهم.

" وهكذا قد ميزت بين الشعوب.

" لقد خلقت النيل في العالم السفلي.

" ودفعت به إلى (أعلا) حسب مشيئتك.

" لتحيي به البشر يا سيد الجميع.

" لأنك قد خلقتهم لنفسك.

" أنت يا شمس النهار.

" يا عظيما في جلالك.

" يا من خلقت البلاد البعيدة.

" وجعلتها تحيا هي الأخرى.

" لقد جعلت نيلا يهبط إليهم من السماء.

" وجعلت له أمواجا تتدافع على الجبال كالبحر.

" فتجد حقولهم ما تحتاج إليه من الماء.

" ما أعظم تديرك يا سيد الأبدية.

" هبت نيل السماء لشعوب الجبال.

" فأحييت حيوانها ومن يسعى فوق أقدامه.

" أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلي.

" فتغذي أشعتك كل حديقة.

" وينمو كل نبات إذا ما أشرقت عليه.

" لقد خلقت الفصول لكي تحيي كل مخلوقاتك.

" وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك.

" ثم جعلت لهم الصيف ليتذوقوا حرارتك.

" وخلقت السماء البعيدة لتشرق فيها.

" ولترى منها كل ما خلقته أنت وحدك.

" أنت الوحيد الذي يشرق في صورته كآتون الحي.

" ساطعا متلألئا رائحا وغاديا.

" لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التي تعد بالملايين

" مدنا وقرى وقبائل وجبالا وأنهارا.

" كل العيون ترنو إليك.

" لأنك أنت " آتون " الذي يشرق في النهار على الأرض

" إنك في قلبي.

" ليس هناك من يعرفك غير ابنك إخناتون.

" إنك أنت أمددته بالحكمة.

" إنك أنت الذي ثقفته بتدبيراتك وقوتك.

" إن الدنيا بين يديك.

" ولا غرابة فأنت صانعها.

" إذا ما أشرقت عاش الناس.

" وإذا ما غربت ماتوا.

" إنك أنت الحياة.

" ولا يحيا الناس إلا بك.



لاعب القيثار ينشد إحدى الأناشيد الدينية. ويلاحظ دقة الفنان في تصوير هذا الموسيقي الضرير.

" تستمتع العيون بجمالك حتى تغرب.

" فإذا غربت في الأفق الغربي.

" ترك الناس أعمالهم كلها.

" لقد خلقت العالم.

" وجعلت الناس يحيون.

" كل ذلك من أجل ابنك الذي نشأ منك.

" ملك مصر العليا ومصر السفلى.

" الذي يحيا في الحق.

" سيد الأرضين إخناتون، الذي يحيا إلى الأبد.

" وكذلك من أجل زوجته المحبوبة.

" سيدة الأرضين نفرتيتي.

" التي تحيا وتزدهر دائما وإلى الأبد. "



راقصة تلعب العود مسترسلة في الغناء

الفهرس